الموسوعة التربوية الفلسطينية
١٢ ف ١ - ١٣ ع ١

الحاج فياض الخضر
١٨٧٧ - ١٩٤١

عبد الله الفياض الخضر
١٩٠٤ - ١٩٧٠

تأليف
الدكتور فياض الفياض الخضر

منشورات الدار الوطنية
للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع
هاتف ٠٩/٩٤٢١١١ - ص. ب ٤٧٤ - نابلس

شكر واهداء

اتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في انجاز هذا العمل خاصاً بالذكر الاستاذ الدكتور (يحيى جبر) وأعضاء أسرة الجمعية العلمية كما أخص بالشكر العميق لزوجتي ، صديقة دربي التي قامت بتدقيق المادة واغنائها بالكثير من الاقتراحات البناءة .

إنني إذ أشكرهم جميعاً ؛ فانني أهدي هذا الكتاب للأجيال الفلسطينية الشابة التي هي بأمسّ الحاجة لمثل هذه المادة لإثراء ثقافتهم الوطنية والتي هي الأساس المتين لبناء المستقبل الزاهر .

قبل الشتات
(تاريخ فلسطين المصوّر)

عن موسوعة «قبل الشتات ـ تاريخ فلسطين المصور ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨» بالانجليزية ـ اصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية باشراف الدكتور وليد الخالدي (ترجمة احمد عمرو)



المؤتمر الوطني الفلسطيني الرابع في القدس

المؤتمر الوطني الفلسطيني الرابع الذي عقد في القدس في ٢٥ ايار ١٩٢١.

الجالسون على الأرض: شبلي الجمل، جميل البحري، ابراهيم الشماس، جميل الحسيني، عبدالسلام البرقاوي، حسن صدقي الدجاني، عبدالله السمارة، فياض الخضر.

الجالسون على الكراسي: طاهر كمال، الشيخ محيي الدين الحسيني، حيدر عبدالهادي، الشيخ سعيد الحسيني، الحاج توفيق حماد، سعيد الشوا، محمد مراد، موسى كاظم الحسيني، محمد الصوراني، سليمان التاجي، شافع عبدالهادي، عبدالله مخلص، اسماعيل آغا النمر، علي رضا النحوي.

الواقفون في الصف الثالث: نجيب نصار، ابراهيم عبدالنور، رشيد الرياحي، سليم عبدالرحمن، النقيب الحسيني، محمود ابوخضرا، مصطفى بشناق، فارس السعود، عادل زعيتر، روحي عبدالهادي، صدقي ملحس، نافع عبوشي، هاشم الجيوسي، فريد عنبتاوي، طاهر حنون، معين الماضي، فؤاد سعد.

الواقفون في الصف الاخير: ابوغوش، عبدالفتاح درويش، احمد الامام، رشيد الحاج ابراهيم، اسحق درويش، جمال الحسيني، رفيق التميمي، شكري التاجي، الياس برتقش.

الحاج فياض الخضر
١٨٧٧ - ١٩٤١

مقدمة تاريخية

كان الوطن العربي ، من أقصاه إلى أقصاه ، يرزح تحت الحكم الاجنبي ؛ فالاستعمار الاوروبي يتقاسم النفوذ على أقطار الشمال الافريقي . وكانت فرنسا تحكم كلا من موريتانيا ، والمغرب ، والجزائر، وتونس مع سعيها الحثيث والدؤوب لتغيير المعالم العربية والاسلامية لتلك البلدان وبخاصة الجزائر معتبرة إياها جزءاً لا يتجزأ من فرنسا. أما ايطاليا فكانت تحتل ليبيا وتعمل بكل قسوة ووحشية لقمع كل تحرك وطني ، وتقتل قادة الشعب الليبي ممثلا بعمر المختار وغيره .

لقد تمّ احتلال شمال افريقيا العربية من قبل الدول الاستعمارية الاوروبية بعدما تم سلخها عن الامبراطورية العثمانية . أما بلدان أسيا العربية ومصر فكانت تخضع للحكم العثماني في الاستانة مع تمتع مصر بقسط من الاستقلالية ، بعد تسلم أسرة «محمد علي» الحكم فيها ، الذي قاد جيش السلطان العثماني لطرد الحملة الفرنسية من أرض الكنانة وبقي «محمد علي» حاكماً لمصر وتوالى على الحكم أحفاده وأبناء أسرته حتى قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢م بقيادة جمال عبد الناصر، الذي كان شغله الشاغل تحرير مصر من الاحتلال والعبودية لبريطانيا .

بقيت أقطار أسيا العربية تخضع للحكم العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وقيام ثورة الشريف الحسين بن علي في مكة سنة ١٩١٦م بعدما قدمت له بريطانيا -والتي كانت حينئذ تقود الحلفاء في حرب ضد ألمانيا وحليفتها تركيا العثمانية- وعداً له بأن يكون ملكاً على كل العرب وفي مملكة موحدة بقيادته . في هذه الأثناء كانت بريطانيا تتآمر مع حليفتها فرنسا بتوقيع اتفاقية (سايكس-بيكو) سراً لاقتسام بلدان أسيا العربية تركة تركيا المهزومة ، وتنفيذاً للوعد الذي قطعته على نفسها لقادة الحركة الصهيونية بمنحهم وطناً قومياً في فلسطين على حساب أصحاب البلاد الاصليين -المتجذرين عقوداً متعاقبة منذ فجر التاريخ- فكان وعد بلفور سنة١٩١٧م .

ما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها سنة ١٩١٨م حتى بدأت مرحلة جديدة في التاريخ العربي استهلت بنقض العهود والوعود التي منحت للعرب ممثلين بقيادة الحسين بن علي .

أخذت الدولتان الاستعماريتان المتحكمتان في تلك الفترة : بريطانيا وفرنسا ، باقتسام تلك الأوطان فيما بينها لاضعافها وتقطيع أوصالها وقمع كل تحرك وطني وقومي . تجسدت هذه السياسة في فلسطين ، محور التآمر ، بتطبيق المقولة المأثورة التي ابتدعتها الدوائر الصهيونية : «منح أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» .. فهل هناك ما هو ابلغ من هذا التزوير للتاريخ والوقائع الديموغرافية ! ما أن استتب الأمر في فلسطين لبريطانيا حتى بدأت مرحلة جديدة من النضال الشرس والدؤوب الذي استمر فيما بعد عقوداً من الزمن وسيظل أواره يستعر إلى ما شاء الله . «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون»(١) صدق الله العظيم . وقول الرسول الكريم «دولة الباطل ساعة ودولة الحق حتى قيام الساعة» .

القضية الفلسطينية

بعد ارفضاض مؤتمر فرساي سنة ١٩١٩م والذي عقد لترجمة نتائج الحرب العالمية الأولى على أرض الواقع وإعلان فلسطين أرضا منتدبة لبريطانيا لتطبيق وعد بلفور وطمس حقائق تاريخية اصيلة متجذرة منذ فجر التاريخ أخذ الانتداب البريطاني لفلسطين يعمل على إبراز وخلق حقائق جديدة تتناسب مع الخطة الاستعمارية في المنطقة لخلق كيان يهودي سياسي يكون حارسا أمينا للمصالح الامبريالية في المنطقة . هذا المشروع الاستعماري «اسرائيل» والذي تعهدته جميع الدول الامبريالية في العالم ، فلم تبخل عليه بمال أو سلاح أو دعم سياسي متواصل منذ نشأة فكرته وإلى أن يجعل الله أمراً كان مكتوباً . إن رعاية هذا المشروع ، كان ولا يزال ، موضع اهتمام الدول الاستعمارية لمصالح اقتصادية واستراتيجية حيوية في المنطقة العربية . ولذا فلا مجال لتحييد مواقف هذه الدول من القضية الفلسطينية لأن المرء لا يمكن تجنيده ضد مصالحه الذاتية والطبقية . بخاصة حينما يتعلق الأمر بمصالح سياسية حيوية وقد عبر عن ذلك أحد رؤساء الوزراء البريطانيين السابقين : ليس لبريطانيا صداقات بل لها مصالح فقط وهي التي

تتحكم بسياستها .

منذ أن فرض الانتداب البريطاني على فلسطين في مؤتمر فرساي نشأت على مسرح السياسة الدولية قضية أخذت أبعادا سياسية وانسانية عالمية اسمها القضية الفلسطينية ولا مجال لإختفاء هذه القضية عن مسرح الأحداث العالمية إلا بحلّ عادل ، ولو جزئياً ، ولا أقول عادلاً كلياً لأن الكليّة في هذا الصدد ليست ممكنة التطبيق وهي غير واردة مرحليا . ففلسطين من الناحية الحقوقية والتاريخية المجردة هي أرض عربية، غير أن الواقع السياسي : المحلي والدولي هو ما يجب أخذه بالحسبان .

كان لابد من هذا التقديم التاريخي الموجز عند التعرض لشخصية سياسية مرموقة ؛ شخصية المرحوم (عبد الله الفياض الخضر) بخاصة وأنه ينتمي لعائلة فلسطينية كان لها دورٌ في الحركة الفلسطينية وفي منطقة طولكرم بالذات ، نظراً لأهمية هذه المنطقة وقربها من مسرح الأحداث الفلسطينية . فالمرحوم كان من الرعيل الاول من المثقفين الفلسطينيين القلائل في ذلك الحين أضف إلى ذلك كون منطقة طولكرم شهدت انطلاقة ثورة سنة ١٩٣٦م . كان لعائلة الخضر دور بارز في النزاعات الاقطاعية في أواخر العهد العثماني من خلال القائد الشجاع (أسعد الخضر) المكنّى (بأبي مسعود) الذي احتل مركزا قياديا في الجيوش الاقطاعية في منطقة جبل نابلس حيث كان يدعى «عقيد القوم» وقد قاد الكثير من المعارك الاقطاعية في المنطقة . كما كان أحد القادة العسكريين في معركة دير الغصون سنة ١٩٣٠م بين ابراهيم باشا ومشايخ الجبل والتي ذكرها الاستاذ الدكتور محمد حسين علي في كتابه تاريخ العرب والمسلمين الذي كان يدرس للمدارس الثانوية في فترة الخمسينات والستينات . وقد تغنى ببطولته أحد الشعراء ويدعى الشاعر الهيتوتي في أرجوزة وصلنا منها :

أما أبو مسعود عالشدة جَلود
لما انتصب سوق المنايا بنمحد

وفي معركة عرابة التي تم الاستيلاء عليها بعد حصارها روي عنه ارجوزة وصلتنا منها الابيات التالية :

جينا لعرابة وياما غزيناها
بالسيف والبارود احنا فتحناها
ويا مين يبشر لي الخليلية وسورها(٢)
طير الغراب نعق عاسورها

وكذلك غزوته لقرية «عبوين» معقل آل سحويل شيخ مشايخ منطقة رام الله في ذلك الوقت وحربه مع آل ماضي في الشمال إلى أن سقط في أحدى معاركه في قرية (صبرين) شمال فلسطين ودفن في قرية (اجزم) القريبة من حيفا . وعن معركة عبوين وصلنا هذان البيتان من أرجوزة تقول :

يا بنات عبوين وارخين الجدايل
وانقتل سحويل عاروس الحبايل

كان لعائلة الخضر دور وطني بارز في أثناء الحكم البريطاني وقد لعب كل من المرحومين الحاج قاسم الخضر وفياض الخضر وابناه عبد الله وعبد الرحمن دوراً وطنياً بارزاً قبل ثورة ١٩٣٦م وفي أثنائها وبعدها مروراً بفترة توحيد الضفتين وحتى يومنا هذا .

نسب العائلة :

يعود نسب آل الخضر إلى الخليل حيث يتواجد أقاربهم آل حجازي (آل شنيتر) إحدى عائلات الخليل العريقة التي برز منها المرحوم اسماعيل حجازي والصحفي عرفات حجازي وقد شغل المرحوم اسماعيل حجازي مقعد النيابة في البرلمان الاردني عدة مرات نائباً عن محافظة الخليل ، كما انتخب سنة١٩٦٧م قبل الاحتلال الاسرائيلي نائباً لرئيس مجلس النواب الاردني حتى تاريخ وفاته ، وشغل عدة مناصب وزارية في الاردن .

يعود نسب العائلة إلى الحارث من قبيلة برقة من مضر من عدنان التي استقرت في الحجاز ، أما الحارث نفسه فهو من الطائف حيث يورد الاستاذ عبد

الغني عبد الرحمن فياض الخضر أنه في أثناء عمله في الطائف موجهاً للتربية الرياضية في مكتب التعليم في المدينة المذكورة التقى زميلاً له يدعى (محمد الحارثي) فأكد له أن نسب العائلة يعود للخليل وأقاربهم هم أل حجازي . عندئذ ابتسم محمد الحارثي وقدم له نفسه معانقاً وهو يقول : نحن أبناء عم ، نحن أقارب . وهكذا توطدت الصلة بينهما . وفي هذا الصدد يقول الاستاذ خليل البرقاوي المهتم بالانساب من مدينة طولكرم أن «أل فياض الخضر» «وأل البرقاوي» هم أبناء عمومة ، حيث يعود نسب العائلتين الى من الى ما ذكرناه (من قبيلة برقة من مضر من عدنان) .

لعشيرة الخلايلة فروع في جنين والجليل ففي جنين هم أل الحافي - الحاج حسن ، وقد برز منهم عارف عبد الرحمن الحافي الذي كان رئيساً لبلدية جنين في عهد الانتداب لمدة ٢٤ سنة ، وكذلك حفيده شوقي موسى محمود الحافي الذي انتخب سنة ١٩٧٦م رئيساً للبلدية وبقي على رأسها الى أن أقالته سلطات الاحتلال الاسرائيلية سنة ١٩٨٣م . أما عشيرة الخلايلة في الجليل فمنهم الشيخ عوض والشيخ محمد خلايلي عضو الكنيست الاسرائيلي والعلاقة بين عشيرة الخلايلي في دير الغصون وأقاربهم في كل من جنين والجليل والخليل ما زالت قائمة ويورثها الخلف للسلف ، وقد توطدت العلاقة بين أل الخضر واقاربهم في الخليل زمن المرحوم اسماعيل حجازي ووالده وأبنائه وأبناء اخوته مع المرحوم عبد الله الفياض ووالده الحاج فياض الخضر وعمه قاسم الخضر وأبنائهم وأحفادهم .

الحاج فياض الخضر

لكي يكون بحثنا عن المرحوم عبد الله الفياض هذا متكاملاً لابد من الرجوع إلى الوراء واستعراض موجز لسيرة والده الحاج فياض الخضر .

ولد الحاج فياض الخضر في قرية دير الغصون سنة ١٨٧٧م ، والده عبد الله الخضر المعروف (بالعبد الخضر) الخليلي الحجازي ، وأمه كانت تدعى الهباشية نسبة لعائلة الهباشه الذين منهم أل المقدادي نسبة إلى المقداد بن الاسود الصحابي الكبير وأحد أعلام قادة المسلمين في صدر الاسلام . كانت هذه العائلة تقيم في قرية (حمامة)

جنوبي فلسطين على طريق غزة وبعد الشتات هاجرت إلى أماكن شتى غير أن غالبيتهم استقرت في غزة . ويعود نسب هذه العائلة الى الصحابي الجليل المقداد بن الأسود ولهذا سمي أحد فروع هذه العائلة بأل المقدادي .

كان الحاج فياض الخضر عصامياً بخاصة وأن استقرار العائلة في دير الغصون كان حديث العهد ، حيث قام العبد الخضر بشراء الاراضي والتملك في دير الغصون في أثناء اقامته المؤقتة في قرية كفر راعي التابعة لقضاء جنين وبعد ذلك انتقل الى دير الغصون مع شقيقه أسعد الخضر وأخرين واضعين الأساس لحامولة وحارة الخلايلة التي كانت تعد تسعة رجال فقط ولذا كانت تدعى حتى عهد قريب «بحارة التسعة» . جلت العائلة مع أخرين عن الخليل إثر حادث قتل دموي كما هي عادة العرب فاستقر قسم منهم في جنين وقسم أخر في دير الغصون والثالث في سخنين بالجليل ومنها إلى قرى أخرى ومجاورة حيث تتواجد عشيرة كبيرة هناك تعد بالالاف . وإن كان يعتقد أنهم جميعاً مروا بدير الغصون لفترة قصيرة . بعد سنوات أصبح أل خضر وبشكل خاص «فياض الخضر» من أكبر ملاكي الاراضي في المنطقة بعامة وفي دير الغصون بخاصة . كما عرف «فياض الخضر» بذكائه وجرأته وقوة منطقه ؛ وصفه صديقه المحامي المرحوم عبد اللطيف صلاح عندما وقف لتأبينه بقوله :

«كان الحاج فياض محامياً بالفطرة حيث لم يدرس بالمدرسة ولا تعلم بالجامعة ولكن تجارب الحياة وذكاؤه الخارق جعلا منه محامياً بالفطرة» . لم يكن الحاج فياض الخضر أمياً بل تعلم بالكتاتيب التي كانت موجودة في تلك الفترة العثمانية ، وكان واسع الاطلاع ، عظيم الفكر ، مستنيراً . كما كان كريم النفس سخياً ، أصبح مضرب مثل في الكرم والبذل في المنطقة كلها .

كما أنه كان يتمتع بمنطق سياسي ووعي فطريين اكتسبهما مع الأيام ، وكثيراً ما كان يردد المقولة التالية : «من لم يعلمه الأبوان٠٠٠علمه المَلوان : الليل والنهار، أي الأيام» .

إن شخصاً يتمتع بكل هذه الصفات لابد وأن يكون زعيماً لقومه وبلده . فـإذا ذكرت طولكرم كان أول ما يتبادر إلى الذهن شخصية الحاج فياض المميزة . هكذا

تبوأ مركزاً اجتماعياً وسياسياً في منطقة طولكرم وكل فلسطين حتى لا تكاد تعقد ندوة سياسية أو مؤتمر وطني فلسطيني إلاّ وكان له به حضورٌ(٣) .

عن مآثره ومواقفه الرجولية الكريمة والوطنية الجريئة نورد هذه الباقة وهي غيض من فيض .

معن بن زائدة والحاج فياض الخضر :

كان المرحوم الحاج فياض الخضر جالساً في ديوانه مع بعض الاقارب والاصدقاء حينما وجّه له أحدهم الكلام التالي :

- عمي أبو عبد الله•• ليش ما بتزكي مالك•••؟؟

- أجاب الحاج فياض فوراً «مقولة معن بن زائدة» :

يقولون معنٌ لا زكاة لماله   فكيف يزكي المال من هو باذله

- قال له محدثه : الله أكبر كل هذه الأملاك وليس لديك ما تزكيه•••؟؟

- أجاب : هذا ما سمعت•••!!

- والله يا عمي لو كان عندي مالك وأملاكك لكنت أغنى شخص في كل فلسطين•••قال المحدث .

- الحاج فياض : الحمد لله أنه ليس لديك ما لديّ لأنك ستمنعه عن أناس هم بحاجة للمساعدة .

أما عن مواقفه الوطنية والسياسية الجريئة والثاقبة النظر فهي أكثر من أن تحصى ولكننا نورد النزر اليسير لعله يعطينا فكرة واضحة عن شخصية صاحبها .

القصة الأولى

مقابلة الحاكم العسكري ريدنج : كان ريدنج حاكماً عسكرياً لمنطقة طولكرم ، أكبر قضاء في ذلك الوقت ، وهو جزء من لواء السامرة مركزه نابلس . كان قضاء طولكرم يمتد من لواء حيفا وجنين شمالاً حتى البحر المتوسط غرباً ، ومنطقة نابلس شرقاً ، وقضاء رام الله جنوباً . استدعي الحاج فياض لمقابلة المستر ريدنج ، لبحث أمور

الساعة ، وهو ما اعتاد على فعله الحكام الاداريون والعسكريون في عهد الاحتلال الاسرائيلي.

سأل المستر ريدنج الحاج فياض عن رأيه في القضية اليهودية وكيفية حلها ، فأجابه وبجرأته ومنطقه السليم المعهودين قائلاً :

- اسمع يا مستر ريدنج : مش احنا اللي خلقنا مشكلة اليهود ، بل أنتم في اوروبا ، ولم يكن لدينا في بلادنا مشكلة تسمى المشكلة اليهودية ، ولذا فمن الطبيعي أن تحلوها أنتم في بلادكم .

- المستر ريدنج : لكن يا حاج فياض اليهود ناس مساكين وعددهم قليل فلو سمحتم لهم بالهجرة الى بلادكم لما كان هناك أي بأس ولا ضرر عليكم .

- الحاج فياض : يا مستر ريدنج ، ما رأيك في ألمانيا أليست دولة عظمى مثل بريطانيا.

- المستر ريدنج : نعم هذا صحيح .

- الحاج فياض : إذا كانت المانيا بكبرها وعظمتها ، تخاف من اليهود وتحاربهم ، وتعتبرهم خطراً عليها ، فما بالك بشعب صغير أعزل ، لاحول له ولا قوة مثل الشعب الفلسطيني ؟

- المستر ريدنج : ومشكلة الارض القائمة بينك وبين اليهود حول القطعة المحاذية لارضكم ؟

- الحاج فياض : لاتوجد مشكلة بيني وبين اليهود حول أرض ، وكل ما في الامر أنهم أرادوا شراء «وطاة شعبان» المجاورة لارضي وأنا منعتهم واشتريت القطعة بحكم الشفعة، فأنا تصرفت بحقي وضمن القانون .

إلى هنا انتهت المقابلة الحامية هذه ، والتي يقال أنها كانت سبب اغتيال الحاج فياض سنة ١٩٤١م .

القصة الثانية

لقاء مساعد حاكم اللواء : بعد أن استتب الامر لبريطانيا اثر مؤتمر فرساي سنة١٩١٩م أخذ الحكام الانجليز للمناطق المختلفة يجوبون البلاد ، لاستطلاع الاراء ، بحجة الوقوف على مطالب الناس ، ولكن هدفهم الحقيقي هو امتصاص

الغليان وخيبة الأمل ، التي عمّت عرب المشرق ، إثر غدر الحلفاء بهم ونكثهم بوعودهم . وكانت البلاد الفلسطينية كلها تقريباً ، تفتقر للطرق المعبدة ، باستثناء الطرق السلطانية شبه معبدة تستطيع المركبات التحرك عليها بصعوبة متفاوتة . كانت قرية زيتا ، الواقعة ضمن منطقة الشعراوية شمالي طولكرم تقع على طريق طولكرم/حيفا ، شرياناً مهماً للمواصلات العسكرية الانجليزية في فلسطين . اعتاد الحكام الانجليز أن يلتقوا وجهاء قرى الشعراوية في قرية زيتا الى أن شقت الطرق المعبدة بالإسفلت فيما بعد .

في أول لقاء لنائب حاكم لواء السامرة في طولكرم مع وجهاء قرى الشعراوية سنة ١٩٢٠م أخذ يتناوب على الكلام وجهاء القرى لتقديم طلبات قراهم بينما كان المترجم يترجم للحاكم الانجليزي ، ولما كانت قرية دير الغصون تحتل مكانة خاصة في منطقة الشعراوية ، إذ كانت تدعى (عروس الشعراوية) .

- وقف الحاج فياض العبد الخضر وقال : احنا في دير الغصون بدنا مدرسة نعلم أولادنا.

قام المترجم بترجمة الطلب الذي كان غريباً ومختلفاً عن طلبات القرى الاخرى جميعها ، حيث انحصرت طلبات وجهائها بطلب القمح أو السكر أو غير ذلك من المواد التموينية التي كانت تفتقر إليه البلاد في ذلك الوقت بعيد الحرب العالمية الاولى حيث عمّت في أثنائها الفاقة في البلاد كلها .

- انتفض الانجليزي وقال : ما هذا الطلب الغريب ؟ وما دخلنا بالمدارس ؟ اذهبوا وابنوا مدرسة في بلدكم فهذا الامر لا يعنينا .
- كان الحاج فياض ما زال واقفاً ، قال للمترجم : قل لسعادة الحاكم أنكم منتدبون علينا لأننا قصّر ، وهم أولياء أمورنا بموجب صكّ الانتداب الصادر في فرساي ، وهذا يعني أن عليهم أن يبنوا لنا المدارس ويعلمونا حتى نصل سن الرشد ، أما إذا كنا قادرين على تعليم أنفسنا بأنفسنا فلا ضرورة لوجودهم في بلادنا وعليهم مغادرتها والجلاء عنها .

تردد المترجم العربي بترجمة كلام الحاج فياض البليغ والجريء ، بل والبالغ الخطورة ، لأنه يخوض بالمحرمات الانتدابية في ذلك الوقت .

- قال الحاج فياض للمترجم : ترجم يا أخي ، خلّيه يقطع راسي !
- عندئذ قال الحاكم الانجليزي للمترجم : ما الأمر ؟
- قال : الأمر كذا وكذا......

وترجم له قول الحاج فياض .

- عندئذ قال الحاكم : سجل مدرسة لدير الغصون .

هكذا بوشر على الفور ببناء أول مدرسة حكومية في منطقة طولكرم كلها ، والتي افتتحت أبوابها سنة ١٩٢٢م ، تحت اسم مدرسة دير الغصون الاميرية ، وهكذا كانت تدعى المدارس الحكومية في ذلك الوقت ، وهذا مثبت في سجلات المدرسة ، علماً بأن بلدة عتيل المجاورة قد بنيت مدرستها سنة ١٩٣٠م .

القصة الثالثة

حادثة جدار البراق : بعدما تقاطرت قوافل اليهود الى فلسطين من اوروبا والعالم وبسبب دعم سلطات الانتداب الانجليزية لهم ، أخذت شوكتهم تقوى وأخذوا يتوسعون على حساب الحقوق العربية والقومية والدينية ، فكان جدار البراق الذي يسميه اليهود جدار المبكى من الاهداف الأساسية لسياستهم التوسعية لامتلاكه ، وجعله رمزاً دينياً يشد إليه الرحال يهود العالم أجمع يزعمون أنه من بقايا هيكل سليمان الاسطورة . قامت الهيئة الاسلامية بحملة تبرعات من أهالي فلسطين والخارج بلغت كما يقال (٢٠ ألف) جنيه فلسطيني رصدتها لترميم جدار البراق وعمل حماية له لمنع اليهود من الاستيلاء عليه ، وان لم يكن اليهود ليمنعوا من الوصول إليه فرادى للعبادة والتبتل .

في ذلك الوقت كان أحد الاقطاعيين المقيمين في سوريا ويدعى (التيان) يقوم بمساومة اليهود ليبيعهم سهل (وادي الحوارث) الواقع غربي طولكرم حتى ساحل البحر ، وتقدر مساحته بألاف الدونمات ، وكان يقيم عليه آلاف من العرب يدعون عرب وادي الحوارث . هذا السهل كان قد اقطع للتيان في العهد العثماني ، كان بامكان الهيئة الاسلامية أن تشتري السهل المذكور ، وتبقي أهله عليه ، ويبقى عربياً.

لكن بدلاً من شراء سهل وادي الحوارث صرفت الهيئة الاسلامية المبلغ على احتفال دعائي فارغ ، وكان الحاج فياض العبد الخضر بين الحضور . تقدم الى الصف الامامي وقال لقادة الاحتفال بلهجة ساخرة وبتجاهل :

- أرجو أن تسمحوا لي برؤية جدار البراق فأنا لا أعرفه ؟!

استغرب الحضور لهذا الكلام مبدين اشمئزازهم من جهل هذا الفلاح الصعب لمقدسات بلده .

- قال نفر من بلده : هذا هو جدار البراق ، ألا تعرفه ؟

- أجابهم الحاج فياض : لا ليس هذا هو جدار البراق الحقيقي بل هو سهل (وادي الحوارث) . اذهبوا واشتروا سهل وادي الحوارث من (التيان) قبل أن يبيعه لليهود .

وأضاف : إذا بقي سهل (وادي الحوارث) للعرب والمسلمين بقي هذا الجدار عربياً مسلماً وإلى الأبد ، وإذا ذهب سهل (وادي الحوارث) لليهود فلن يبقى هذا الجدار لنا .

- استشاط المسؤولون عن الاحتفال غضباً وقال أحدهم : احنا ما بدنا واحد فلاح مثلك يعلمنا ايش لازم نعمل .

- عندئذ قال الحاج فياض : انا صحيح فلاح وفلاح أصلي وهذا شرف لي ولكن سترون يوماً من هو الأعقل ، هذا الفلاح الذي لا يعجبكم أم أنتم يا أفندية .

وأضاف : أما احتفالكم هذا فهو حرام عليّ أن أحضره . وانسحب منه .

أورد هذه القصة الصحفي اليافاوي (يحيى هواش) الذي كان يكتب عموداً يومياً في جريدة «الدفاع» تحت توقيع (صاحب الكوخ) وقد أوردها الصحفي المذكور صيف ١٩٥٨م . يذكر أن (يحيى هواش) كان صديقاً لعائلة فياض الخضر وبالذات المرحوم عبد الرحمن فياض الخضر في أثناء ثورة ١٩٣٦م ، وقد أخفاه المرحوم عبد الرحمن الفياض (أبو عدنان) في مبنى معصرة الزيتون التابعة للعائلة في أثناء الثورة بسبب مطاردة سلطات الانجليز له ، لدوره الوطني في أثناء الثورة المذكورة لمدة ستة أشهر .

مقابلة أبي راسم

حول موضوع وادي الحوارث توجهنا بالسؤال للحاج عبد الرحمن محمد صالح بدران - أبو راسم :

س : ماذا تعرف عن قصة بيع وادي الحوارث ؟؟

ج : بعدما باع التيان أرض وادي الحوارث لليهود مضى وقت طويل قبل اتمام الصفقة وتنفيذ البيع وقد طالت القصة وأخذت وقتاً بسبب اختفاء الاوراق المتعلقة بالأرض والتي أخفاها المرحوم عبد الله الفياض في أثناء عمله في دائرة القائمقام ، أراد اليهود تقصير الطريق بتقديم رشوة للمرحوم ، فعرضوا عليه مبلغ ألفي جنيه فلسطيني مقابل استخراج الأوراق المتعلقة بالأرض بواسطة القائمقام في ذلك الوقت الذي قام بنفسه بتقديم هذا العرض المغري للمرحوم . جاء المرحوم لوالده الحاج فياض الخضر وحكى له القصة فقال له :

-اسمع يا عبد الله إياك أن توافق أو تساعد على بيع شبر من فلسطين ولو ملّكوك العالم كله ....!!

عندئذ أخرج المرحوم عبد الله الاوراق من جيبه وناولها لوالده الذي أعجب بموقف ابنه ، ثم أخفى الاوراق عنده في خزنته .

وفي هذا الصدد يستأنف أبو راسم مستذكراً فيقول :

- كان خالي الحاج فياض الخضر مكلفاً من قبل الهيئة الاسلامية في القدس ، ومن الحاج أمين الحسيني نفسه بجمع الأموال لانقاذ جدار البراق في القدس ، لكن الحاج فياض أراد أن تحول هذه الأموال لإنقاذ وادي الحوارث وشرائه من التيان الذي وعد ببيعه لليهود .

وبدلاً من صرفها على احتفال ارستقراطي في القدس . قام الحاج فياض بعرض الأمر على (محمد عزت دروزة) الذي قال له بأن المطلوب الآن هو إنقاذ الأقصى وليس وادي الحوارث . إنني شاهد على هذا الحوار بين (الحاج فياض الخضر) و (محمد عزت دروزة) .

- قال الحاج فياض : أين يقع جدار البراق هذا ؟!

- قال له دروزة : هل يمكن أن يجهل الحاج فياض موقع جدار البراق وهو رئيس اللجنة المالية المكلفة بجمع التبرعات له....؟!!

- قال الحاج فياض : والله إنني أعلم أين يقع جدار البراق ولكن وادي الحوارث أحق بأن نشتريه بالأموال التي جمعناها بدلاً من احتفالات لا فائدة منها .

الحاجة عيشة الجستار «أبو عصبة» :

اعتادت الحاجة عيشة الجستار (أبو عصبة) أن تسرد على مسامع أحفادها القصة التالية التي تبين بعد نظر جدهم وعقله الكبير ، حتى حفظ أحفادها هذه القصة عن ظهر قلب .

- تقول الحاجة عيشة : كنت واقفة في الصالون من الجهة القبلية مقابل البوابة الرئيسية للديوان عندما دخل (الله يرحمه) جدكم أبو عبد الله . طلب مني أن أملأ له ابريقاً للوضوء تحت شجرات السرو والصنوبر الواقعة في ساحة الدار أمام الديوان. ناولته الابريق ، فخطا خطوات ثم توقف واطرق مفكراً .

- قلت له : ما لك يا حاج... بدك إشي ؟

- قال : لا يا عيشة ، بس أنا بفكر وين بدكم تقبروني في محل ما يوصله اليهود....!

- قلت له : يخسوا اليهود ويش راح يجيبهم على هالبلاد... مافشروا هذه بلادنا .

- قال : وحياة هاللحية - وأمسك ذقنه - غير اليهود ياخذوا كل هالبلاد....

- قلت : مافشروا ....اسكت يا حاج بلاش حد يسمعك . وبعد عمر طويل ان شاء الله نقبرك تحت هالشجرات .

- قال : يا عيشة اليهود ما رايحين يخلوا لنا هالشجرات .

- قلت : بهالستور بنهده وبنبنيه مره تانية ونقبرك فيه .

- قال : ولك يا عيشة ما أنا قلت لك اليهود رايحين يوخذوا الشجرات والحاكورة والسنسلة والبلاد كلها .

كانت الحاجة الجليلة ام عبد الله تختتم كلامها وتقول :

- وحياة من سبله وأماته انو قالها ومن يومها وأنا هالكلمات اللي قالها ما بقدر أنساها.

وهذا الحكي بعيد من زمان أيام ما بقين هالسروات شجرات صغار... .

(قد تعود هذه القصة الى أواخر العشرينات حسب ملابسات الرواية) فمن كان يدرك في ذلك الوقت هذه المخاطر غير الذي يستطيع أن يستقرىء التاريخ ومن أتاه الله

علماً عظيماً وعقلاً كبيراً ، أو كما كانت تقول الحاجة عيشة (ام عبد الله) :

- الله يرحمو سيدكم بقى نص نبي (اغفر لي يارب)....!!

اغتيال الحاج فياض الخضر :

كان يحدث ابن المرحوم الحاج فياض الخضر الاكبر وهو موضوع كتابنا المرحوم (عبد الله الفياض الخضر) : «إن قصة مقابلة والدي مع الحاكم الانجليزي كانت تعني بداية النهاية له ، إذ كانت ايذاناً بتنفيذ خطة اغتياله التي تمت ونفذت بأيد عميلة مارقة ، أعمى الحقد عيون مرتكبيها وما دروا أنهم قتلوا بذلك شخصية زعيم فلسطيني غيور وجسور ، يصعب على بلدته أن تنجب مثله وكان ذلك في شهر تموز ١٩٤٠م ».

اجتمع الخواجا عزرا مع بعض سماسرة الارض والعملاء الساقطين الذين باعوا ضميرهم ووطنهم لعدو الوطن والشعب حيث رتبوا معاً مؤامرة اغتيال المرحوم الحاج فياض الخضر . استخدم المتآمرون في تنفيذ مؤامرتهم عنصر الخداع ؛ إذ عقدوا صلحاً بين الحاج فياض الخضر وباقي زعماء الحزب العربي من جهة وزعماء حزب الدفاع الموالي لبريطانيا من جهة أخرى تحت يافطة خادعة ألا وهي التفرغ للعدو المشترك -الانجليز واليهود- أما حكومة الانتداب فقد لعبت دوراً قذراً في تنفيذ عملية الاغتيال باعتقال شباب الثورة السابقين ، من أبناء دير الغصون ، وعلى رأسهم المرحوم (عبد الرحمن الفياض الخضر) ابن الحاج فياض الخضر والذي كان عنصراً فاعلاً خلال الثورة ، إذ كان يقود ويوجه فصيلا من أبناء الشعراوية بشكل غير مباشر كان بينما يقوده مباشرة المرحوم احمد أبو زيتون . بعد ذلك أرسل المتآمرون خمسة وعشرين مسلحاً لخمسة طرق توصل دير الغصون بطولكرم . بينما كان الحاج فياض يسير على صهوة فرسه الاصيل عائداً الى دير الغصون ،وعلى مقربة من قرية (شويكة) -ضاحية طولكرم الشمالية حالياً- وعلى بعد نحو كيلومتر شمالي القرية المذكورة ، فاجأه خمسة مسلحين لم يكتفوا بقتله فحسب ، بل أفرغوا اسلحتهم في جسده .

يقول عبد الرحمن محمد صالح بدران (أبو راسم) : «كان اعتقال عبد الرحمن فياض الخضر (ابو عدنان) من قبل سلطات الانتداب مقدمة لاغتيال والده الحاج فياض، وعاملاً مساعداً في تنفيذ المؤامرة الخسيسة ، حيث ما كان أحد ليجرؤ على اغتيال الحاج فياض وابنه (ابو عدنان) طليق .

لم يطل الأمر (بأبي عدنان) ايضاً إذ توفي في حادث في أثناء عمله في معصرة الزيتون المسؤول عن ادارتها وتعود ملكيتها لوالده ، وفي حادث بدا وكأنه طبيعي ، وقضى نحبه في شهر تشرين الثاني -نوفمبر- ١٩٤٠م ، كان قرار تصفية كل نشطاء الحركة الوطنية أمراً مدبراً له من قبل سلطات الانتداب البريطاني ، وهذا ما توصل إليه المرحوم عبد الله الخضر في أثناء عمله موظفاً في دائرة القائمقام بطولكرم . وطالما حذر عبد الله والده وأخاه وعمه ولشدة تحذيره لهم ذكر المرحوم أن عمه الحاج قاسم الخضر صاح مرة في وجهه : «يا عمي اللي بدو يموت يموت ، احنا بنموت رافعين الراس وفدا الوطن» . بعد موت المرحومين تنفس العملاء الصعداء وشكّلوا فصائل السلام ! فكانوا مع الجيش الانجليزي يسومون القرى سوء العذاب وهم يحملون الكرابيج والمسدسات٠٠٠!

حول اغتيال الحاج فياض نورد القصة التالية :

بعد احتلال سنة ١٩٦٧م وزوال الحدود التي كانت تفصل الاهل في قرى المثلث عن اقاربهم في طولكرم وقراها والذين كانت تربطهم اواصر قرابة ومصاهرة متعددة ، وبخاصة عائلات القرى المتجاورة ، ومنها علاقات بين عائلة آل العبد الخضر في دير الغصون وعائلة أبي عصبة (آل أبو جسار) من قرية (جت) المجاورة ، والتي كانت جزءاً من قرى المثلث التي تم تسليمها لاسرائيل بموجب اتفاقية رودوس سنة ١٩٤٩م . بعد حزيران سنة ١٩٦٧م عادت العلاقات بين أهل القرى الى سابق عهدها كما عاد الأهل للتواصل والتزاور والمصاهرة . كان المرحوم (علي العبد الرزاق شامية) مختاراً لقرية جت وأول رئيس مجلس قروي منتخب فيها . في أول لقاء بينه وبين ابن خالته (عبد الله الفياض) قال له :

- اسمع يا ابا خالد ، أشعر أنني قد تقدمت بي السن ، ولم يبق من العمر قدر ما

مضى ، ولذا عليّ أن أبرىء ذمتي ، وأحكي لك حادثة تتعلق باغتيال والدك - خالي الحاج فياض- حتى لاأموت ويموت ذلك السرّ معي ، قال علي لعبد الرزاق : « يوم اغتيال خالي (ابو عبد الله) كنت جالساً في دكاني في بلدة الخضيرة القريبة ، فدخل عليّ الخواجا عزرا دانين الشخصية اليهودية المعروفة .

- قال : علي ، انت ايش بتعمل هون ؟
- قلت : عجباً أما تراني جالساً في دكاني ؟
- قال : ايش بقربلك خاج فياض ؟
- قلت : خالي يعني زوج خالتي
- قال : أعرف أن هذه دكانك ولكن ما بتعرف أنه قبل ٥ دكيكة (خمس دقائق) انقتل خاج فياض٠٠٠٠٠!
- قلت : ايش بتقول يا زلمة٠٠٠٠! مين بدو يقدر يقتل الحاج فياض ؟
- قال : خبيبي أنا هيك بحكيلك قبل خمس دكيكة انقتل خاج فياض .

كرر عبارته لي مرة ثانية وانصرف٠٠٠٠٠٠!

أما أنا فقد راحت السكرة واجت الفكرة وجلست دقائق بيني وبين نفسي ، بين مصدق ومكذب .

ركبت دابتي وقصدت جت مقاطعاً من أقصر الطرق ولما حكيت لاقاربي ما سمعت أخذوا يعنفونني ، ولكنهم -أخيراً- قرروا الذهاب الى دير الغصون ، وبينما نحن في طريق (بلاط السبيل) ؛ عتيل/دير الغصون المعبدة حالياً ، صادفنا شخصاً من دير الغصون فأخبرنا بنبأ الاغتيال الذي بلغهم قبل قليل ، أي أن الخواجا عزرا دانين كان يعرف بالاغتيال ! والذي بدوره أعلمني بعد وقوعه بخمس دقائق ، لاشك أنه أحد المخططين لهذه الجريمة النكراء ، وربما كان مشاهداً . كان الحاج فياض الخضر معتداً بنفسه وبرجولته وفي هذا الصدد يحكى أن أمرأة تعمل في الحقول حذرته قائلة :

- ارجع يا حاج انهم يريدون قتلك .
- قال لها : باطل الحاج فياض ما بخاف هذول طبنجاتهم ملانات سكن٠٠٠٠

كان الحاج فياض شخصية وطنية مرموقة ، وكثيراً ما حذر من الفتنة ، التي يراد منها الايقاع بين العائلات الفلسطينية المختلفة وإغراق البلاد في بحر من

الدماء ، فسارع الى تأسيس لجنة اصلاح وطنية في منطقة طولكرم كان رئيساً لها ، وكان يكرر العبارة التالية : «المؤامرة أكبر منا جميعاً ، والهدف هو «تشليحنا» البلاد ، والسبيل لتحقيق ذلك ، اغتيال زعماء البلاد حتى يصبح هذا الشعب كالغنم بلا راعي» .

إننا إذ نسترجع هذه العبارة الحكيمة ، نشعر بمرارة الحزازات العائلية ، التي ما زالت البلاد تعاني منها منذ الاغتيالات التي وقعت في أثناء ثورة ١٩٣٦م ، وما بعدها من تصفية للحسابات . وقد شهد الحاج فياض استشهاد ابنه (عبد العزيز - ابو سميح) في أثناء اشتباك مع الجيش الانجليزي .

وحول اغتيال الحاج فياض نورد القصة التالية :
كان القرويون عندما يفدون الى طولكرم ، يربطون خيولهم ودوابهم في خان الشلبي، الواقع في المدخل الشمالي لمدينة طولكرم وكان الحاج فياض قد أودع فرسه في خان الشلبي ، ولما أراد العودة الى دير الغصون امتطى صهوتها ويمم شطر دير الغصون ، وفي الطريق مرّ على صديقه المرحوم (عبد الرحيم الخواجا عبده) في شويكة حيث شرب القهوة وأكمل طريقه ، وما هي إلاّ دقائق حتى سمع اطلاق رصاص ، وبعد هنيهات مرّت الفرس أمام ديوان عبد الرحيم خواجا وهي مسرعة تصهل صهيلاً متواصلاً، وظلت تعدو حتى وصلت الى خان الشلبي ، حيث أخذت تقفز على أقدامها الخلفية مواصلة صهيلها ، وكأنها تندب فارسها المجندل في العراء، فما كان من عبد الرحيم الشلبي إلاّ أن هدأ ثورة الفرس وركبها وذهب الى منزل عبد الله الفياض يخبرهم بأمر مقتل الحاج فياض وهو يصيح : وَلْكُم -٠٠٠٠- دينكم انقتل الحاج فياض٠٠٠!
كان وقع حادثة الاغتيال مروعاً على الأهل وعلى البلاد أغرق دير الغصون في بحر من الدماء كنا في أمسّ الحاجة لحقنة في مواجهة الخطر المشترك .

قصة وطاة شعبان

كان المرحوم الحاج فياض الخضر يمتلك أرضاً على السهل الساحلي الى القرب من دير الغصون على بعد تسعة كيلومترات تدعى (السعودية) . كانت تجاور أرضه هذه قطعة أرض أخرى كان يمتلكها المرحوم (شعبان الزبدة) أحد تجار طولكرم ، ومساحتها مائة دونم ، تسمى (وطاة شعبان) وهي مرهونة لأحد المتعاونين مع حكومة الانتداب ، وقد عرض هذا العميل الارض للبيع للوكالة اليهودية وتم مزاد علني بين الوكالة والمرحوم الحاج فياض الخضر فارتفع سعر الدونم من ستين قرشاً الى عشرين جنيهاً فلسطينياً «وكان هذا في الثلاثينات» . لم يتمكن المرحوم من الاستمرار بالمزاد ، وتم بيع الارض «وطاة شعبان» للوكالة اليهودية . بعد تسجيلها قام المرحوم برفع قضية شفعة، وحكم له بالارض ودفع ثمنها البالغ الفي جنيه فلسطيني اضطر المرحوم استدانتها من البنك بفوائد عالية على الرغم مما كان يتحمله من نفقات باهظة على الثوار في منطقة طولكرم .

أرسل المرحوم ابنه عبد العزيز (أبو سميح) الى الارض على صهوة حصانه ، مع مجموعة من الشباب النشامى لابلاغ الخواجا عزرا دانين مختار مشروع المستعمرة المنوي اقامتها على الارض المشتراة ، أحد مؤسسي دولة اسرائيل بـإزالة خيمته وإلاّ فسوف يندم ، وقد قام بـإزالتها فوراً ، وضم الحاج فياض «وطاة شعبان» لارض «السعودية» (أرضه المجاورة) .

جرأة نادرة

كان الحاج فياض الخضر وأبناؤه : عبد الله ، وعبد الرحمن متعاونين مع الثورة الفلسطينية ضد الانجليز ، وقد كان المرحوم يدفع نفقات ثوار دير الغصون توفيراً على الهيئة العربية العليا ، حيث كان يدفع لهم ثمن السلاح والذخيرة والملابس ، علاوة على المصاريف الشخصية التي يحتاجونها . وكان ابناؤه يتعاونون مع الثورة كل التعاون . وقد صادف مرّة أن جلس ثوار محكومون بالاعدام «وكانوا ملثمين» على نفس الطاولة التي كان يأكل عليها ضابط من الانجليز . علم قائد موقع

دير الغصون البريطاني بذلك ، ولدى مساءلة المرحوم الحاج فياض الخضر عن ذلك، أجابه : هؤلاء أبناء الامة وأبنائي وأنتم تحكمون البلاد ولا استطيع رفض استقبالكم في بيتي . ذهل الضابط من هذا الجواب وقال للحاج فياض :

- إنني معجب بصراحتك يا حاج .

ومما يجدر ذكره أن المانيا كانت تزود الثورة الفلسطينية بالكثير من الاسلحة، التي كانت تهرب عن طريق سوريا ولبنان ، والعراق عبر الاردن . كان المرحوم عبد الرحمن تصله شحنات الاسلحة باسمه مباشرة من مصادرها حيث عمل مخزناً بحاكورة منزل والده على شكل غرفة صغيرة بنى جدرانها الداخلية من الاسمنت ، حيث كان يخفي الاسلحة أمام حملات التفتيش المتواصلة .

تسجيل أراضي دير الغصون في الطابو

كان المرحوم الحاج فياض الخضر بعيد النظر ، كما اسلفنا ، وكان يتوقع الاحتلال الصهيوني لفلسطين طلب من دائرة الأراضي والمساحة في عام ١٩٤٠م وقبل استشهاده بفرز أراضي دير الغصون وتسجيلها كلها مع أراضي القرى الصغيرة التابعة لها . وقد تم تنفيذ ذلك بعد استشهاده ، وبمتابعة من أخيه المرحوم الحاج قاسم الخضر ، وابنه المرحوم عبد الله الفياض الخضر ، عندما احتل الصهاينة الضفة الغربية ، لم يتمكنوا من اقامة أية مستوطنة على ما تبقى من أراضي دير الغصون والتي سلخت من القرية بعد اتفاقية رودس ، ويعتبر هذا العمل انجازاً وطنياً مشرفاً، لأن الصهاينة أقاموا مستعمراتهم في الضفة الغربية وقطاع غزة على الأراضي غير المسجلة بحجة أنها أراض للدولة بينما أراضي دير الغصون مطوبة بالطابو .

اعدام في الموقع

استشهد عبد العزيز فياض الخضر برصاص الانجليز قبل مقتل والده الحاج فياض وابنه عبد الرحمن ، فبينما كان الثوار متواجدين في منزل المرحوم عبد الجبار عبد الغني بدران في الحارة الشرقية في دير الغصون ومعهم المرحوم عبد

العزيز الحاج فياض الخضر والمرحوم محمد علي الحاج فياض الخضر قام أحد العملاء يرافقه الجيش البريطاني ليدلهم على مكان وجود الثوار وعندما شعر الثوار بذلك انسحبوا بسرعة واشتبكوا مع الجيش البريطاني . وبعد انتهاء المعركة تابع عبد العزيز الحاج فياض وشقيقه محمد علي طريقهم غير أن العميل المذكور أخبر الضابط البريطاني أن هؤلاء من أبناء الحاج فياض الخضر فألقي القبض عليهما وأطلقت عليهما النار (إعدام في الموقع) فأصابت المرحوم عبد العزيز وأخطأت محمد علي وكان ذلك في أواخر عام ١٩٣٩م (الساعة الحادية عشرة ليلاً من ١٧ رمضان) . هكذا قتل الحاج فياض وابناه عبد العزيز وعبد الرحمن خلال عام ونصف فقط .

اعتقال الحاج فياض الخضر :

قام الانجليز في أثناء الثورة باعتقال الرجل المسن الحاج فياض الخضر واقتادوه في مصفحة ترافقها ثماني مصفحات ، وودعته قرية دير الغصون بالحزن والأسى ، لأنه سيغيب عنهم وسيفتقدون قيادته وحنكته وجرأته . قبل صعوده الى المصفحة سأل الحاج فياض القائد البريطاني عن سبب اعتقاله ، وعن كل هذه الاحتياطات ؟

- فأجابه : لأننا نخشى أن يحاول الثوار ، الذين يحبونك ويعتبرونك أباً لهم ، مهاجمة القافلة لتخليصك من أيدينا .
- عندئذ أجاب الحاج فياض : ما دام الثوار يحبونني ويعتبرونني أباً لهم ، فلن يهاجموا القافلة ، حفاظاً على حياتي . ولمّا لم يتمكن الانجليز من اثبات أية تهمة ضده ، عدلوا عن قرارهم بنفيه الى سيشل (وكان هو الذي اختار سيشل عندما خيروه في المكان الذي يرغب أن ينفى إليه ، لينضم الى اخوانه الوطنيين المنفيين(٤) هناك) لم يطل اعتقال الحاج فياض كثيراً حيث أفرج عنه وعاد ليكمل طريقه في خدمة وطنه . ويذكر في هذا الصدد أنّ الحاج فياض وابنه عبد الرحمن تعرضوا للاعتقال عدة مرات ، وتنقلوا في سجون مختلفة من طولكرم الى القدس ونابلس وحتى سجن المزرعة في عكا، الذي كان يودع فيه نشطاء الحركة الوطنية في فلسطين .

انطلاقة ثورة ١٩٣٦م

وعن دور المرحوم عبد الرحمن فياض الخضر ومشاركته في ثورة سنة ١٩٣٦م ، كنا قد أجرينا عدة لقاءات مع أصدقاء المرحوم نختار منها اللقائين التاليين ، الأول مع المرحوم احمد أبو زيتون من دير الغصون ، قائد فصيل من أبناء دير الغصون والشعراوية والساعد الأيمن للمرحوم عبد الرحمن الفياض ، والثاني مع صديق المرحوم الاستاذ علي الصالح التايه - أبو عكرمة - الشخصية الوطنية القومية البارزة في طولكرم ، قبل وفاتهما بفترة قصيرة في محاولة لاعداد دراسة حول انطلاقة ثورة ١٩٣٦م ، غير أن ظروفاً قاهرة حالت دون ذلك ، وما زلنا نحتفظ بالاوراق والمقابلات والوثائق التي جمعت من أجل ذلك.

المقابلة الاولى مع المرحوم احمد ابو زيتون :

س١ : كيف بدأت الانتفاضة العارمة والاضراب الشامل ، اللذين تحولا فيما بعد الى ثورة مسلحة ؟

ج : لقد كان المرحوم عبد الرحمن الفياض (أبو عدنان) أحد الشخصيات الوطنية الرئيسة في منطقة طولكرم ، فكان الجندي المجهول وراء معظم الاحداث الوطنية في المنطقة ، لا في ثورة ١٩٣٦م فحسب ، بل وفي كلّ ما سبقها وما تبعها من أحداث إلى أن اختطفته يد المنون وهو في الثلاثين من عمره ، قضاها ثائراً لنصرة شعبه ، ومتمرداً على الجور الذي حاق بنا وبقضيتنا العادلة ، على أثر اعتقال اللجان القومية في البلاد ، وكان منهم أحد وجهاء طولكرم (سليم عبد الرحمن) . هبّ جميع سكان القرى المجاورة من الرجال والنساء الى مدينة طولكرم -مركز القضاء- الذين ضاقت بهم البلاد ، فأخذوا يطوفون الشوارع ، يهتفون بحياة الوطن وسقوط الانتداب، ومطالبين بوقف الهجرة اليهودية ، واطلاق سراح الزعماء الوطنيين المعتقلين . عقد وسط المدينة مهرجان خطابي حاشد ألقى به العديد من وجهاء البلاد كلمات وطنية حماسية .

كانت تلك التظاهرات سلمية ، فالانجليز لم يقوموا بمنع العرب من حمل السلاح فحسب ، بل كانوا يعدمون وينسفون البيت الذي توجد به طلقة واحدة .

وكان المرحوم عبد الرحمن الفياض قد جمع بعض الشباب المتحمسين من قرية دير الغصون ، يقارب عددهم عشرين شاباً أذكر منهم : ابراهيم محمد صالح بدران ، وعبد الرحمن حسين قعدان ، وعبد الجبار عبد الغني وأنا طبعاً (احمد أبو زيتون صاحب الرواية) وأخرين حملنا ما لدينا من بنادق ومسدسات متخذاً بذلك قراراً بمهاجمة الجيش البريطاني ، اختار (ابو عدنان) مدخل طولكرم الشرقي عند جبل السيد قريباً من المسجد الذي بني منذ سنوات على طريق نابلس-طولكرم وضاحيتها الشرقية ذنابة ، حيث قمنا بـإغلاق شارع نابلس-طولكرم بالحجارة الكبيرة ، التي بنينا منها عدة صفوف متباعدة ، وبعد أذان العشاء بوقت قصير في الساعة التاسعة ليلاً حيث أقبلت قافلة من السيارات والمدرعات العسكرية البريطانية ووقفت عند الحاجز الغربي ، كان المرحوم ابو عدنان قد أصدر إلينا الامر بعدم إطلاق الرصاص إلا بعد توقف القافلة وبعد أن يقوم هو بـإطلاق النار ، وهكذا كان ، فقد أطلق النار على القافلة المتوقفة تبعته زخات متتالية من الرصاص انهمرت على القافلة من جانبي الشارع الجنوبي والشمالي . قام الانجليز بالرد على النار بالمثل واستمر اطلاق النار المتقطع حتى ساعة متأخرة من تلك الليلة ، ولم تستطع القافلة المسير نحو نابلس ، بل انسحبوا عائدين الى طولكرم نحو المركز . انسحب المقاتلون تدريجياً ، وكنت أنا وأبو عدنان أخر من بقي حيث اتجهنا شمالا نحو دير الغصون قاطعين الجبال وعندما شعرنا بالعطش مررنا بقرية اكتابا (قريبة من موقع الاشتباك) في مدخل القرية مررنا بشخص أعمى يحرس مقثاة للفقوس فعرجنا عليه طلباً للماء . فرحب الرجل بنا وطلب منا الجلوس ، فجلسنا . تكلم معه أبو عدنان أولاً فقال الرجل :

- ألست أنت أبو عدنان عبد الرحمن الفياض ؟
- فقال له : بلى ، ولكن كيف عرفتني وأنت لا تراني ؟
- فأجاب الرجل الضرير : لقد عوضني الله عن نعمة البصر بغيرها فيكفي أن أسمع صوت شخص مرة واحدة ولن أنساه بعد ذلك ، لقد أتيت قبل سنتين أو ثلاثة الى مطحنة القمح التي تخصكم في دير الغصون والتي كنت تعمل بها ، طحنت لي وأكرمتني ولم تأخذ مني الردّ (الأجرة) ، ولا أزال أذكر لطفك وكرمك ، ولن أسمح لكم أن تمروا من هنا حتى أكرمكم وأقوم بواجبكم . أنا أعرف اين كنتم ، فقد سمعت إطلاق النار .

شربنا الماء وحاولنا التخلص منه غير أنه أصرّ على عدم مغادرتنا حتى دعا زوجته من بيته القريب وأحضرت لنا الطعام ، ثم تابعنا السير نحو دير الغصون التي وصلناها مع بداية النهار . هكذا بدأت ثورة ١٩٣٦م وكان المرحوم عبد الرحمن الفياض الخضر هو مطلق رصاصتها الاولى وهو الذي جمع شباب البلد ، وقادهم في هذه الموقعة الاولى والتاريخية» . هذا مقتطف من أقوال المرحوم احمد أبو زيتون قبل سنة من وفاته نوردها هنا من أجل التوثيق(٥).

المقابلة الثانية :

كانت المقابلة الثانية مع الاستاذ علي الصالح (أبو عكرمة) ، أحد الشخصيات الوطنية بطولكرم ، شارك في العمل الوطني منذ بداية شبابه ، ودخل العديد من السجون والمعتقلات زمن الانتداب والاردن ، وهو والد الشاعر عبد الناصر صالح وعمل في سلك التعليم فيما بعد في أثناء الحكم الاردني ، وهو محال على المعاش يتمتع بصحة جيدة على الرغم من بلوغه الثمانين(٦) ، يقول أبو عكرمة : «كنت سنة ١٩٣٦م مديراً لمدرسة الاستقلال الخاصة في حيفا ، واعتقلت عشية اضراب ١٩٣٦م ، وبقيت في السجن ٤٣ شهراً ، وتعرفت على المرحوم عبد الرحمن الفياض في سجن عكا ، حيث أتوا بي الى السجن بعد نشوب الثورة ، وقد التقينا بالسجن عدة مرات ، فقد كان أبو عدنان يخرج ويعود ، أما أنا فقد بقيت معتقلاً حتى نهاية الثورة المسلحة سنة ١٩٣٩م .

وعلى الرغم من عدم مشاركتي للفقيد في الثورة سنة ١٩٣٦م ، والاحداث الجسيمة التي تلتها ، إلا أنني أعلم أنه كان له نشاطات وطنية كثيرة ، وكان مثالاً للرجل الوطني الشجاع ، وكانت تربطني به صداقة قوية أعتزّ بها ، وهو من الشخصيات النادرة في المنطقة قلّ أن تلد النساء رجلاً بشجاعته وكرمه ووفائه . لقد صعقت من الحادث المؤسف الذي جرى له وفقدت بذلك أخاً وصديقاً» .

المقابلة الثالثة :

منذ سنين وأنا الح على عبد الرحمن محمد صالح بدران (أبو راسم) أن يدلي بدلوه بهذا الخصوص . كان أبو راسم كلما ألححت عليه يقول : بصير

خير٠٠٠٠٠! خاصة إذا كان الامر يتعلق برجل شهم وصلب وجريء مثل أبي راسم الذي يرى حرجاً شديداً في التحدث عن نفسه ودوره في ثورة ١٩٣٦م ، ولكنه في النهاية وافق على الادلاء بهذا الحديث ولسانه يلهج بالعبارة التالية : إن التاريخ أمانة، والأمانة ثقيلة عسى أن يعيننا الله على تحملها .

في صيف هذا العام ١٩٩٤م كان الحاج عبد الرحمن محمد صالح بدران قد عاد لتوه من الحج ، وهو من الاحياء النادرين الذين شاركوا بثورة ١٩٣٦م .

- يقول ابو راسم : إن عمري الآن يقارب ٧٧ سنة ، كنت في أثناء الثورة في بداية شبابي (١٨-١٩) سنة وأذكر يوماً جاء فيه عبد الرحمن الفياض الى دير الغصون من طولكرم وقال بأن الانجليز اعتقلوا رجالات فلسطين من اللجان القومية، ونريد أن نكمن للجيش الانجليزي . بعد عصر ذلك اليوم كان أبو عدنان قد جمع حوالي ٢٠ شاباً من شباب البلدة كنت واحداً منهم وصلنا الى المكان الذي اختاره لنا وهو عند الطرف الغربي من جبل السيد شرقي طولكرم ، واستطيع أن أقول أنه نفس المكان المقام عليه حالياً مسجد الفردوس عند مدخل ذنابة على طريق نابلس طولكرم وما أن حلّ الظلام حتى قمنا باغلاق الشارع الرئيسي بالحجارة واستحكمنا على جانب الشارع الجنوبي أي في جبل السيد . قال لنا أبو عدنان : لا تطلقوا النار حتى أبدأ أنا بذلك . حوالي صلاة العشاء أي ما يقارب التاسعة ليلاً أقبلت قافلة الجيش الانجليزي حيث توقفت عند السد الحجري . نزل بعض الجنود لازالة الحجارة فاطلق عليهم أبو عدنان النار ثم أطلق الجميع بعده . في اليوم التالي تصدر خبر الحادث صفحات الصحف المحلية والعربية وارتفعت معنويات الناس بعد هذا التحدي الجريء لقوات الاحتلال البريطاني .

- يقول أبو راسم حرفياً : طنطنت الصحف العربية والمحلية بالخبر لأنه كان أول عمل عسكري ضد الانجليز سنة ١٩٣٦م . عادت القافلة الانجليزية الى طولكرم ، وانسحبنا من مواقعنا الى دير الغصون عبر الجبال مروراً بقرية اكتاباحيث وصلناها في آخر الليل.

- سألنا أبو راسم : من شارك من الثوار بتلك العملية ؟؟

- أجاب : الى جانب عبد الرحمن الفياض قائد العملية شارك احمد أبو زيتون وأخي ابراهيم محمد صالح بدران وعبد الجبار عبد الغني وأخرون لا أذكرهم حيث كان عدد المشاركين يتراوح ما بين ١٥-٢٠ ثائراً .
- سؤال : في أي شهر كانت العملية ؟؟
- جواب : كانت الدنيا أول الصيف أو أخر الربيع ويمكنني أن أقول أن الشهر كان هو شهر أيار بالضبط٠٠٠نعم بالضبط شهر أيار . أقول هذا لأننا كنا في بداية موسم الحصاد. لقد تركنا الناس في السهل وهم يحصدون الغلة والجمال تشيّل القش الى البيادر في البلدة عندما جاءنا المرحوم عبد الرحمن الفياض -أبو عدنان- وجمعنا ثم قصدنا الموقع الذي حدث به التصادم مع القوة العسكرية الانجليزية بعدما كنا قد جمعنا ما استطعنا جمعه من السلاح كما أعطى أبو عدنان السلاح لمن لم يكن لديه .
- سؤال : هل تعتقد أن هذه العملية العسكرية كانت الأولى سنة١٩٣٦م ضد الجيش الانجليزي ؟
- جواب : نعم ٠٠٠نعم٠٠٠بالتأكيد أنها العملية العسكرية الأولى لأنه لم يكن أحد يفكر بذلك إلا من كانت لديه الجرأة النادرة والانتماء الوطني المرهف كأبي عدنان - رحمه الله - الذي كان يتوقد شجاعة وجرأة نادرتين الى جانب انتماء وطني نادر المثال . ولا تراني اقول إلا الصدق حينما اقول : لولا أن ابا عدنان جاءنا وجمعنا ثم شحننا بشحنة وطنية قوية لما كنا نفكر بهذا الأمر مطلقاً ولما خطر ببالنا القيام بذلك . بعد هذه العملية انتعش الناس يعني -دار الدم بعروقهم- وأخذوا يتحدون الانجليز في كل مكان الى أن تطور الأمر لثورة عارمة اتخذت فيما بعد من المنطار(٧) مقراً لها إثر قدوم القائد اللبناني فوزي القاوقوجي والشيخ محمد الاشمر وحمد بك صعب وغيرهم كثير من المتطوعين العرب . بعد هذه العملية بفترة وجيزة قمنا بقيادة المرحوم ابي عدنان بعملية أخرى عند موقع نور شمس على طريق نابلس-طولكرم القريب من موقع المنطار المذكور أنفاً .
- سؤال : لكن ما هو سر هذه العلاقة بينك وبين المرحوم عبد الرحمن الفياض لدرجة أنك شاركت معه بعمل عسكري ثوري ؟؟
- جواب : الى جانب القرابة التي تربطني بالمرحوم فأمي من عائلة العبد الخضر والحاج فياض والحاج قاسم الخضر هما أبناء عمومة والدتي مباشرة ، الى جانب هذا المخول فقد كان المرحوم صديقاً عزيزاً منذ الطفولة حيث كان يتردد على بيتنا

كثيراً وكنت أنا بالطبع أبادله الزيارة واستمرت هذه الصداقة الحميمة وكبرت مع كبرنا لدرجة أنني كنت كثيراً ما أقاسمه الفراش في بابور الطحين ومعصرة الزيتون التي تخصكم حيث كنا أحياناً لا نفترق ليلاً ونهاراً .

قصة سجن عكا سنة ١٩٤٠م وكلنا عبد الرحمن ....

سألنا العم أبا راسم عن ذكرياته داخل السجن مع المرحوم عبد الرحمن الفياض فقال :
- في سنة ١٩٤٠م اعتقل رجال الثورة السابقون في سجن عكا وكان ذلك تمهيداً لاغتيال الحاج فياض الخضر حيث كنا عشرة أشخاص في غرفة واحدة في السجن أذكر منهم : أنا وعبد الرحمن الفياض ، وأخي ابراهيم محمد صالح بدران ، ومحمد نادر الناصر بدران ، عبد الجبار عبد الغني بدران ، واحمد ابو زيتون ، ومحمد خليل قعدان وأخر من قرية اجزم - قرب حيفا - يكنى بأبي صبحي .

هكذا كان الجميع من دير الغصون عدا أبي صبحي المذكور . في أثناء اقامتنا في السجن المذكور كان السجّانون الانجليز يبدلون النوبة مرتين يومياً : في الساعة الثانية عشرة ظهراً والثانية عشرة عند منتصف الليل . في أحد المرات مرّ الشاويش الانجليزي الذي كنا ندعوه بكنية (ابو جلدة) لأنه كان قاسياً جداً في تعامله مع المساجين العرب وينكل بهم . جاء أبو جلدة هذا الى باب غرفتنا حيث تفقد القفل ومعه بوليس عربي يدعى (عبد اللطيف) من طولكرم الذي كان يمشي خلف أبي جلدة مهرولاً لكي يتمكن من اللحاق به بسبب طول خطواته وسرعته في المشي . عندما مر الاثنان أمام باب غرفتنا التي كانت تحمل رقم (٢٠) فقلت باعلى صوتي :
- لعنة الله على هيك عرب اللي بركضوا وراء الانجليز زي كلاب الصيد٠٠٠٠!!
سمع الشرطي «عبد اللطيف» الكلام فحدثت مشادة كلامية مصحوبة ببعض الشتائم بيننا وبينه٠٠٠!!
عندئذ تدخل زميلنا في الغرفة -أبو صبحي- وقال بصوت عالٍ :
- اسكت يا عبد الرحمن٠٠٠!!
هكذا عرفوا اسمي
في صباح اليوم التالي جاءت الى غرفتنا إدارة السجن كاملةً من انجليز وعرب



عبد الله الفياض الخضر

١٩٠٤ - ١٩٧٠

حيث كان بينهم شرطي عربي أخر من قرية (طمرة- الجليل) يدعى راغب .
وقفنا جميعاً عند دخولهم حسبما يقضي نظام السجن .

- قال مدير السجن الانجليزي : من منكم عبد الرحمن٠٠٠؟

- قلت : أنا اسمي عبد الرحمن .

- عندئذ أجاب عبد الرحمن الفياض : أنا اسمي عبد الرحمن .

- ثم توالى الجميع بالاجابة ، أنا اسمي عبد الرحمن٠٠٠ أنا اسمي عبد الرحمن إلى أن كان العشرة٠٠٠والكل يدّعي أن اسمه عبد الرحمن .

دهش الانجليز لهذا الموقف التضامني الرائع فأخذوا يتبادلون النظرات فيما بينهم صامتين مبدين اعجابهم بنا . قال عبد الرحمن الفياض مخاطباً مدير السجن :

- والله العظيم إلا نقطّع زلمتكم هذا في الساحة٠٠٠مشيراً الى الشرطي (عبد اللطيف).

قال مدير السجن لمرافقيه السجّانين وإدارة السجن :

- هذا الرجل -مشيراً لعبد الرحمن الفياض- اسمحوا له بالخروج ثلاث مرات يومياً يعمل دوش بارد٠٠٠!!

ثم انصرفوا دونما اتخاذ أي إجراء عقابي بحق أحد٠٠٠

سيرة المرحوم عبد الله الفياض الخضر

ولد بتاريخ ١٩٠٤/٧/١٤م في دير الغصون قضاء طولكرم ، درس المرحلة الابتدائية في مدرسة القرية والمرحلة الاعدادية في مدرسة النجاح بنابلس ، والمرحلة الثانوية في الكلية الانجليزية في القدس ، ثم التحق بالجامعة الامريكية ببيروت في قسم الكيمياء ، درس سنتين وانقطع عن الدراسة لاسباب قاهرة علماً بأنه كان في طليعة صفوفه الدراسية .

اشغل الوظائف والمهن الحرة التالية :

باشر عمله موظفاً ادارياً ومالياً في قائمقامية قضاء طولكرم بتاريخ ١٩٢٧/٥/٢٣م ، واستقال من الوظيفة الحكومية بتاريخ ١٩٤٢/٢/٢٢م حيث تفرغ للعمل في الزراعة والتجارة حتى ١٩٤٨م .

أسس أول ناد رياضي في طولكرم عام ١٩٣١م وأول جمعية تعاونية عام ١٩٣٤م وأول جمعية زراعية عام ١٩٤١م واشغل سكرتيرية عدد من المؤتمرات العامة في فلسطين ، ورئيساً لمجلس إدارة شركة المواد الغذائية العربية في يافا وممثلاً عن المزارعين في مجلس التموين الحربي الاعلى عام ١٩٤٥م ، قام بتجنيد كتيبتين من شباب قضاء طولكرم عام ١٩٤٨م في القوات العراقية في منطقة طولكرم حيث سلمتها هذه القوات للجيش العربي الاردني عندما انسحبت تلك القوات وعادت الى العراق .

في تاريخ ١٩٥٨/٧/٩م عين وزيراً للانشاء والتعمير في تعديل وزارة المرحوم دولة السيد سمير الرفاعي الخاصة الى ان استقالت بتاريخ ١٩٥٩/٥/٦م .

أما عضويته في مجلس النواب عن منطقة طولكرم فقد بدأت حينما فاز بالتزكية في الانتخابات التكميلية عام ١٩٥٨م وأعيد انتخابه بالتزكية عام ١٩٦١م ، وفاز بالانتخابات العامة للمجلس النيابي التاسع للمرة الرابعة بتاريخ ١٩٦٧/٤/١٥م الى أن توفاه الله تعالى ليلة ٢٦-١٩٧٠/١٢/٢٧م في مدينة طولكرم حيث دفن في مسقط رأسه دير الغصون ، أثناء عضويته في مجلس النواب كان رئيساً للجنة الزراعية وعضواً في لجنة الشؤون الخارجية وشارك في عدة وفود برلمانية الى خارج الاردن .

من الجدير بالذكر أن المرحوم عبد الله الفياض الخضر خاض المعارك الانتخابية البرلمانية الاردنية ابتداءً من البرلمان الاول سنة ١٩٥٠م ، حين لم يحالفه الحظ بسبب انتماءاته القومية البارزة فهو من الاعضاء المؤسسين لحركة القوميين العرب في المؤتمر المنعقد في حيفا سنة١٩٤٧م(٨) .

أبدى عبد الله الفياض ذكاء وفطنة واقبالا على التعليم ، الذي كان في ذلك الوقت يقتصر على تعلم اللغة العربية وتلاوة القرآن ، ومبادىء اولية في الحساب ، وكان والده يصطحبه في بعض اسفاره ، مباهياً بذكائه ونجابته ، وعن ذلك يروي المرحوم عبد الله الفياض احدى هذه الزيارات : اصطحبني والدي لزيارة صديقه المرحوم الحاج سعيد عبد المجيد ، النابلسي الاصل ، والملاك الكبير الذي كانت تربطنا به صداقة متينة وجيرة في الارض ، ومصالح اقتصادية كثيرة . قلما كان يخلو هذا البيت من الضيوف والزوار مختلفي المشارب والاغراض . وعلى طعام العشاء التف الجميع حول موقد النار الشتوي ، وكان بين الحضور الشيخ حسن عاقلة (شيخ دين ضرير من قرية شويكة) وصديق للعائلة . كان فصيح اللسان ، تتلمذ على يد الشيخ الكبير المرحوم عبد القادر التفال صديق وصهر العائلة أيضاً ، ومدفون في مقبرة العائلة الخاصة في دير الغصون .

- سأل الشيخ حسن عاقلة : كم عمرك يا عبد الله ؟
- فأجبت .
- قال : وماذا تدرس وعلى يد من ؟
- فأجبته .
- عندئذ قال : أريد أن أسأل سؤالاً ، فـإن أجبت عليه فأنت شاطر وإلاّ فلا .

وأورد بيتاً من الشعر .

- سأل : قل من القائل وما اعراب كذا وكذا ؟
- عندئذ نظر الحاج فياض نحو ابنه وقال له : إن أعربته فلك ما تريد ، وإلا فالعقاب شديد .
- قال عبد الله : عندئذ أجبته على سؤال الشيخ حسن عاقلة جواباً كاملاً شافياً .
- فأثنى الشيخ حسن عاقلة عليّ ثناءً كبيراً .
- وقال لوالدي : يا أبا عبد الله أعطِ ما وعدت . فهو جدير بذلك .
- يقول المرحوم عبد الله الفياض : عندئذ نظرت الى والدي الذي كان مضطجعاً ويشرب (النارجيلة) ، وقد تهلل وجهه بالبشر والسرور .

- وقال : لك ما تريد .

بعدما أنهى عبد الله دراسته في مدرسة دير الغصون ، أرسله والده الى المدينة حيث التحق بمدرسة النجاح حديثة التأسيس والتي كان يدرس فيها أبناء العائلات الفلسطينية الثرية . برز من ابناء صفه الكثير من الشخصيات الفلسطينية ، والتي لعبت دوراً بارزاً في الحياة الثقافية العربية والفلسطينية ، من أمثال : حكمت المصري ، وحيدر حلاوة ، وشريف القبج ، ورفيق الحمد الله وغيرهم كثيرون ، كان عبد الله الفياض أصغرهم سناً .

بعد ذلك انتقل الى الكلية الانجليزية بالقدس حيث حدثنا المرحوم شريف القبج صديق وجار المرحوم وزميله في البرلمان الاردني يقول : جاء لزيارتي في القدس والدي المرحوم الشيخ (يوسف القبج) وكنت أنا والمرحوم عبد الله الفياض (ابو خالد) نقيم في غرفة واحدة فسألني والدي :

- من زميلك هذا ؟
- فقلت : إنه عبد الله الفياض ، ابن الحاج فياض الخضر من دير الغصون .
- فرحب به والدي ، وقال وهو يودعني : أعتن يا شريف بابن عمك عبد الله ، ثم التفت الى عبد الله - وقال : كم درجتك يا بني ؟
- فأجابه : أنا الأول على صفي .
- فنظر إليّ وقال : أعتن أنت إذن بابن عمك ، ثم ودعنا وخرج .

بعد تخرجه من الكلية الانجليزية في القدس ، وحصوله على شهادة (الانترميديات) انتقل للدراسة في الجامعة الامريكية ببيروت ، حيث درس صفين فريشمان وسفمور ، ولكنه لم يستطع الاستمرار في الدراسة لاسباب صحية مما دفع والده على اتخاذ قرار متسرع وطلب منه العودة الى البلاد . كانت فلسطين في ذلك الوقت بحاجة ماسة لكل متعلم ، تقدم المرحوم طالباً وظيفة حكومية ، فعين في دائرة القائمقام مساعداً له ، وكان في البداية انجليزياً ، وبعد ذلك عربياً . وقد تمت ترقيته الى رتبة قائمقام في مدينة (جنين) غير أن ظروفه العائلية لم تمكنه من الاستمرار في العمل الوظيفي ، طلب منه عمه الحاج قاسم الخضر الاستقالة والتفرغ لاعمال العائلة ، وإدارة أموال والده . في أثناء عمله الوظيفي عرف بمسلكه المستقيم وفكره الثاقب وهدوئه ونزر كلامه ، فكان خصومه يدعونه (بالأطرم) كما عرف عنه طهر اليد والخدمة المتفانية للناس ، والتي كانت تشكل بالنسبة له مخاطرة ومجازفة. كان مثالاً للاستقامة والمحافظة على نقاء الخط الوطني ، والابتعاد عن كل إغراء مادي مهما كان ومهما كبر. وستقوم هنا بـإيراد بعض القصص والاحداث التي وقعت في أثناء عمله الوظيفي .

١- حادثة النزلة الشرقية سنة ١٩٣٧م :

حدثنا مختار النزلة الشرقية عبد القادر الحاج ذيب (أبو غالب) والذي جاوز الثمانين من عمره ، قال : في أثناء الثورة الفلسطينية سنة١٩٣٧م ، كان يعسكر في أرض القرية ما يزيد عن مائة ثائر فلسطيني ، بينهم بعض السوريين والعراقيين بقيادة (عبد الرحيم الحاج محمد) أبو كمال ، عندما داهمت القرية ، وعلى حين غرّة، قوة من الجيش الانجليزي بقيادة الضابط (كنج) . كان يرافق تلك القوة المرحومان (رشيد عبد الفتاح من ذنابة ، وعبد الله الفياض) الذي لم أكن أعرفه شخصياً في ذلك الوقت وإن كنت أعرف والده وأخاه عبد الرحمن ، لعلاقتهم المباشرة بالثوار ، ومن الجدير بالذكر أن الجيش البريطاني كان يصطحب معه بعض المواطنين الفلسطينيين كمترجمين ، وكان عبد الله الفياض يقوم أحياناً بهذا الدور بصفته موظفاً في دائرة القائمقام ، وكانت النزلة في ذلك الوقت تابعة إداريا لمدينة جنين .

ارسل المرحومان رشيد عبد الفتاح وعبد الله الفياض لنا مع شخص يدعى (صبحي) من قرية زيتا الشعراوية القريبة ، يطلبون من عبد الرحيم الحاج محمد الانسحاب من النزلة ، ولكي يعطوه فرصة ، أوحيا للقائد الانجليزي (كنج) التوجه الى قرية قفين أولا، حيث يتواجد الثوار ، وفي نفس الوقت اعطاء الثوار مهلة ساعات ليتمكنوا من الانسحاب بأمان .

- يقول المختار (ابو غالب) : لقد رأينا الجيش الانجليزي ، وهو يمر من الطريق الرئيس متجهاً الى (قفين) ، ولكن وللاسف الشديد ، لم يعمل الثوار بالنصيحة وبقوا، بالجبل الجنوبي المجاور للبلد . هناك حصل اشتباك مع الجيش قتل على أثره العديد من الثوار ، وجرح قائدهم (ابو كمال) بذراعه ، وأخفيناه في مغارة قريبة ، بعد أن وضعنا صخرة على بابها ، ولم يخطر ببال الانجليز أنه بداخلها رغم وقوفهم على بابها بحثاً عن الثوار .
- يقول المختار ابو غالب : جمع الجيش الانجليزي الناس على البيادر وكان بينهم بعض السوريين المتطوعين ، قرر الضابط الانجليزي هدم كل بيوت القرية بعد استباحتها ، كما كانوا ينفذون في ذلك الوقت العقاب الجماعي الذي ابتدعه

الانجليز في اثناء احتلالهم لفلسطين ، وأورثوه لاسرائيل بعد حرب ١٩٦٧م . عندئذ تقدم مني شاب عربي اسمر الوجه ، طويل القامة ، وسيم الشكل ، وقدم لي نفسه ، فاطمأن قلبي إليه ، وقال لقد قرر الضابط الانجليزي مسح القرية من الوجود ، لانها تستضيف الثوار ، والآن أريدك أن تأتي معي لتتعرف على الناس الموجودين ، وتنفي وجود غرباء بينهم . لم تكن تلك المهمة سهلة ، لان بينهم اثنين من السوريين. بعد أخذ ورد ، وبعد مداولات استمرت يومين كاملين ، عسكر الجيش خلالها في القرية ، استطاع المرحوم عبد الله الفياض ، إقناع القائد بأن كل الثوار غرباء ، وليسوا من أبناء القرية ، وقد فروا جميعاً الى الجبال ، ولم يبق منهم احد . واستطعنا اخفاء هوية السوريين بصعوبة بالغة بعدما ألبسناهم ما تيسر من الملابس القروية البسيطة . ومنذ ذلك الوقت توطدت علاقات الصداقة مع المرحوم عبد الله الفياض (أبي خالد) ، الذي أخذت أتردد عليه كلما نزلت الى المدينة ، وقد ساعدني لدى القائمقام من (قرية ابو سنان) : (عبد الله خيري) للحصول على ترخيص خرطوش ، وقد كنا نصوت له باستمرار في أثناء انتخابات البرلمان الاردني ، لانه كان يدافع عن قضايانا ويساعد الفقراء ، وهو فلاح مثلنا واستطعت بواسطته الحاق ابن أختي المعدم في دار المعلمين ، فقد كان ذكياً جداً وفقيراً ، ولولا (أبو خالد) لما استطعنا ذلك بسبب المحسوبية .

يضيف (ابو غالب) : إنه لشرف كبير لي أنني استطعت مصادقة ثلاثة أجيال منكم ، ابتداءً بالحاج فياض والحاج قاسم ثم ابنائهما عبد الله وعبد الرحمن ، ابناء الحاج فياض اللذين توطدت علاقاتي بهما اثناء ثورة ١٩٣٦م ، وهاأنذا أصادق الاخ خالد الفياض والدكتور فياض ابنيهما .

٢- أرض وادي الحوارث :

عندما كان المرحوم عبد الله الفياض الخضر موظفاً في طولكرم ، حضر إليه اليهودي المعروف بشراء الاراضي لحساب الوكالة اليهودية ، وإسمه «خانكين» ، وطلب منه ورقة تتضمن اعتراض عرب وادي الحوارث على دفع ضريبة الاراضي التي يقيمون عليها (وادي الحوارث) ، من أجل طردهم بعد أن اشترت الوكالة

اليهودية الارض من (التيان) ، تسهيلاً لتسجيل الارض باسم الوكالة اليهودية ، وتوفيراً للجهد والوقت ، والذي يستغرق سنتين أو ثلاثة ، حتى يتسنى له طرد العرب من وادي الحوارث ، مقابل مبلغ ألفي جنيه فلسطيني كرشوة عرضها (خانكين) على عبد الله الفياض الذي وعده أن يبحث عن هذه الوثيقة ، وعلى (خانكين) مراجعته ليبلغه بما تمّ عمله .

قام المرحوم عبد الله الفياض الخضر بالبحث عن هذه الوثيقة في ملفات دائرة القائمقامية حيث كانت تحفظ أوراق الاراضي ، وبعد أن استخرجها قام بسحبها من الملف ، وخرج بها لدير الغصون ، حيث سلمها للمرحوم والده الحاج (فياض الخضر) ، الذي أثنى عليه ، ثم استدعى أخاه قاسم الخضر ، وأبلغه بذلك ، فسرّ وأثنى على ابن أخيه أيضاً ، تمّ حفظ هذه الوثيقة في خزنة الحاج فياض ، وعند مراجعة (خانكين) للمرحوم عبد الله الفياض قال له : إن الوثيقة غير موجودة ، وهكذا تم تأخير تسجيل أرض وادي الحوارث باسم الوكالة اليهودية مدة تقارب ثلاث سنوات ، وبعد ذلك قام الجيش الانجليزي بتنفيذ أمر إجلاء عرب وادي الحوارث ، القريبة من الخضيرة ، فكانوا أول من يطرد من أرضهم ، من أهل فلسطين وذلك سنة ١٩٣١م ، وكان إجلاء عرب وادي الحوارث نذير شؤم لمستقبل الشعب الفلسطيني ، والمصير المجهول الذي ينتظرهم على أيدي سلطات الانتداب البريطاني وحلفائه الصهاينة . وردت تفاصيل هذه الحادثة في مقابلة عبد الرحمن محمد صالح بدران في قصة حياة الحاج فياض الخضر(٩) .

٣- قصة طريق دير الغصون :

كانت حياة المرحوم عبد الله الفياض الخضر ، حافلة بالمواقف الوطنية ، ولا غرو في ذلك ، فهو أحد مؤسسي حركة القوميين العرب في فلسطين في المؤتمر المنعقد في حيفا سنة ١٩٤٨م (كما ورد في كتاب «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧م - ١٩٤٨م» للمؤلفة بيان نويهض الحوت)(١٠) .

في يوم وفاة المرحوم عبد الله الفياض الخضر حدث صديقه ورفيق دربه السيد «صلاح أمين صلاح» الشخصية القومية البارزة ، ورئيس بلدية طولكرم السابق القصة التالية فقال : في أثناء شق طريق دير الغصون/طولكرم ، وخلال قيام الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦م ، طلب المرحوم (عبد الله الفياض) الذي كان نائباً لقائمقام طولكرم ، وكان يمارس وظيفته هذه بالتنسيق مع القيادة الوطنية أنذاك ، بقيادة الحاج أمين الحسيني*، ومن خلال انتمائه للحزب العربي الذي كان يضم القوميين العرب والمجلسيين ، طلب المرحوم ابو خالد من خبراء المتفجرات الانجليز الذين كانوا يشرفون على شق الطريق الجبلي المذكور ، ان يعلموه طريقة التفجير لمادة (TNT) وكيفية استعمال صواعق التفجير ، عندئذ أخذ المرحوم يرافقه أثناء عمله ، حيث كان يخفي ما كان يستطيع اخفاءه من هذه المواد المتفجرة وصواعقها ، ثم يعطيها سراً للثوار الفلسطينيين بواسطة أخيه المرحوم (عبد الرحمن) . كان الثوار يستعملون تلك المتفجرات في نسف القاطرات ، والتي لم يكن يركبها الثوار أثناء الثورة ، وكذلك السيارات العسكرية البريطانية ، وابراج الضغط العالي الكهربائية التابعة لشركة روتنبرج اليهودية . وكانوا يعدون الالغام في بيارة الحاج فياض الخضر ، أو بيارة أل عبد المجيد (الحاج صدقي ، والحاج سعيد عبد المجيد) . وقد علمهم على كيفية تلغيم خطوط السكة والطرق وحول الابراج خبير ألماني من احدى المستوطنات الالمانية في فلسطين أنذاك . وقد قام المرحوم الحاج عبد الرحمن الزيدان بالاعلان على باب مسجد دير الغصون بأنه هو الذي يقوم بأعمال التفجير ، حفاظاً على أرواح أهل القرى المجاورة لأماكن التفجير من البطش البريطاني .

حول موضوع صواعق (TNT) كان لنا المقابلة التالية مع عبد الرحمن محمد صالح بدران فذكر ما يلي : كان المرحوم عبد الله الفياض يشرف على أعمال التفجير لشق طريق دير الغصون/طولكرم مع بعض الفنيين الانجليز حيث كان المرحوم يخفي بعض الكبسولات بعدما تعلم طريقة التفجير حيث كان يرسل ما يستطيع اخفاءه لأخيه عبد الرحمن الذي كان بدوره يسلمها للثورة . كان (عبد الرحمن بدران) وأخي (ابراهيم محمد صالح بدران) مسؤولين عن أعمال التفجير حيث تعلما على يد خبير ألماني فكان أول لغم صنعوه بأنفسهم ووضعوه على طريق

وادي الشام(١١) حيث انفجر بسيارة الجيش الانجليزي وقتل كل من كان بالسيارة وبعد ذلك قتل الانجليز (جميل البحري) من دير الغصون انتقاماً ، بسبب تواجده في مكان الحادث .

يذكر في هذا الصدد أن والد جميل هذا هو (محمد يحيى ناعسة) المدعو بالبحري بسبب خدمته في الاسطول البحري العثماني في البحر الاسود . كان البحري يعمل خفيراً في دير الغصون ، وكان ابنه البكر جميل شاباً صغيراً عائداً من طولكرم ويحمل على ظهر حماره صفيحتي سولار من دائرة صحة طولكرم لاستعمالها في إبادة البعوض في أبار ماء الجمع في القرية . يضيف الحاج عبد الرحمن محمد صالح بدران -أبو راسم- أن هذه الالغام كانت تصنع من المواسير حيث يتم حشوها بالمسامير والبراغي اضافة للمادة المتفجرة بطريقة بدائية في بيارة آل عبد المجيد وأرض الحاج فياض القريبة المسماة بالسعودية بالتعاون مع الشهيد (نعيم عبد المجيد)الذي استشهد فيما بعد في حرب سنة ١٩٤٨م بينما كان يحضر أحد الألغام . كانت هذه الألغام توضع أمام قوافل الجيش البريطاني وتحت خط سكة الحديد التي كانت تمر بالقرب من بيارة آل عبد المجيد ، كما كانت توضع تحت أعمدة الضغط العالي لمشروع كهرباء (روتنبرغ). حول موضوع انفجار لغم وادي الشام كان المرحوم احمد ابو زيتون قد قال لنا ما يلي :

- لقد كان انفجار لغم وادي الشام قوياً جداً ومفاجئاً للجيش الانجليزي الذي كانت ترابط قوة منه في مدرسة دير الغصون بعد إغلاقها أثناء ثورة سنة ١٩٣٦م . كان الانفجار قوياً جداً لدرجة أن أحد عجلات السيارة العسكرية الانجليزية وجدت قرب بيت (الدّلول) الذي يبعد عن مكان الحادث بضع مئات من الامتار . يذكر أن هذا البيت قد درس ولم يبق منه إلا بعض الحجارة وهو على مقربة من خربة المسقوفة المجاورة لوادي الشام من الجهة الجنوبية .

تأسيس المدارس

تأسيس المدارس على رأس سلم الاولويات :

كثيراً ما كان المرحوم عبد الله الفياض الخضر ما يكرر قوله : إن الله قد ميز الغني عن الفقير بماله ، وميز العالم عن الجاهل بعقله ، فكيف بمن ميزه بالحسنيين٠٠٠٠؟؟ ما دام الله قد ميز بعض عباده عن بعض ، فقد ألقى عليهم مسؤولية مساعدة الأخرين ليمكنوهم من أن يتعلموا ويحسنوا من أوضاعهم المعيشية وإذا أحجم هذا الانسان المنعم عليه عن القيام بواجبه ، فلا خير في ماله وعلمه ، وهو اشبه ما يكون بقوله تعالى: «كمثل الحمار يحمل أسفاراً٠٠٠٠٠» يستأنف المرحوم عبد الله الفياض قوله : علمني والدي -رحمه الله- في مدرسة النجاح ، ثم في القدس ، وبعد ذلك في الجامعة الامريكية ببيروت في وقت لم يكن غير نفر قليل يفكون الحرف كما قام والدي -رحمه الله- ببناء مدرسة دير الغصون حينما لم يكن في القرى مدارس ، وهكذا كان عليّ مواصلة الدرب ، براً بذكرى والدي فأثبت أنني خير خلف لخير سلف .

مدرسة دير الغصون الاميرية للبنين :

كانت في دير الغصون مدرسة بسيطة في العهد العثماني على نظام الكتاتيب . بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين ١٩١٨م ، دعا حاكم لواء السامرة وجهاء قرى الشعراوية «الجزء الشمالي من قضاء طولكرم» في قرية زيتا وقد دعي من دير الغصون المرحومان الحاج قاسم الخضر ، واخوه الحاج فياض الخضر ، وقد طلب حاكم لواء السامرة منهم أن يتقدموا بمطالبهم وشكاويهم ، فطلب المرحوم فياض الخضر بناء مدرسة في دير الغصون بمساعدة الحكومة وبمساهمة أهالي القرية ، وهي القصة والتي سبق وأوردناها ضمن المواقف المأثورة للحاج فياض الخضر(١٢) .

أثناء الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦م ، قررت السلطات البريطانية فتح طريق يربط دير الغصون بطريق طولكرم/حيفا ، وقد استدعى حاكم اللواء المرحوم عبد الله الفياض الخضر وأبلغه قرار الحكومة فوضع أمامه خيارين هما :

ا- أن تأخذ دير الغصون ألفاً وخمسمائة جنيه فلسطيني أجرة للعمال الذين سيعملون في فتح الطريق .
ب- أن يقوم أهالي دير الغصون بفتح الطريق عنوة وبدون مقابل (سخرة) .
عندئذ ذهب المرحوم عبد الله الفياض الخضر الى قريته وأبلغ والده ووجوه القرية بالموضوع ، واتفقوا جميعاً على فتح الطريق مقابل المبلغ المعروض من الحكومة على أن يمولوا توسيع المدرسة بهذا المبلغ ، ويقوم أهل القرية بالعمل مجاناً من أجل توسعة المدرسة ، ومن كان منهم بحاجة للاجرة ، فقد تبرع المرحوم الحاج فياض الخضر بدفع أجرته من جيبه الخاص ، وقد تمّ فتح الطريق وتوسيع المدرسة.

وبعد توحيد الضفتين ، في سنة ١٩٥٢م ، وبمبادرة من مدير المدرسة الاسبق أحمد بدوي مصطفى أيوب(١٣) ، والذي خدم خمسة وعشرين عاماً مديراً لمدرسة دير الغصون ، وبالتعاون مع المرحوم الحاج قاسم العبد الخضر ، قام الحاج قاسم بمقابلة مفتش المعارف في نابلس الاستاذ ابراهيم صنوبر ، بعد ترتيب الزيارة من قبل المرحوم مدير المدرسة أنذاك ، وعرض عليه فكرة تكملة المدرسة الابتدائية لتصبح مدرسة ثانوية ، على أن تبني القرية التوسعة وتدفع رواتب مدرسين اثنين لمدة عام ، ووضع مبلغ ألفي دينار أمام مفتش المعارف ، فشكره المفتش وقال له : احتفظ بالمبلغ حتى يتم طرح المناقصة ، وإحالة العطاء على أحد المتعهدين ، حيث تم اقامة البناء اللازم ، وبدأت المرحلة الاعدادية (ثانوية متوسطة) كما كانت تدعى في ذلك الحين ، وقد جاء المرحوم أنور نسيبة بنفسه وتفقد الوضع ، حيث كان حينئذ وزيراً للمعارف ، وكان يرافقه المرحوم عبد الله الفياض الخضر .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية تابع الرواد من أهالي القرية الطيبون بناء مدارس أخرى ابتدائية وثانوية للبنين والبنات بمساهمة منهم وبمساعدة الحكومة الاردنية وبمتابعة من قبل (خالد عبد الله الفياض الخضر) الذي أصبح فيما بعد نائباً عن منطقة طولكرم في البرلمان الاردني ، أما رئيس مجلس دير الغصون السابق الحاج عبدالمجيد قاسم الخضر فقد واصل أمر بناء المدارس ، حيث تم بناء مدرسة ثانوية للبنين على قطعة أرض كان المرحوم عبد الله الفياض الخضر قد أقنع أحد ابناء القرية ببيعها لاقامة مدرسة زراعية عليها على نمط مدرسة (خضوري)

لخدمة المنطقة بخاصة والبلاد بعامة ، فهي تقع على مقربة من الاراضي الزراعية الخصبة . بعد اتمام بناء مدرسة دير الغصون الثانوية قام مجلس دير الغصون ببناء مدرسة نموذجية ابتدائية للبنات على نفقة أبناء البلدة المغتربين ، وبعدئذ اقيمت مدرسة نموذجية ابتدائية أخرى، وقد تم توزيع المدارس على مختلف أحياء البلدة . يذكر في هذا الصدد أن مدرسة ابتدائية للبنات كانت قد أسست سنة١٩٤٤م ثلاث سنوات قبل نكبة فلسطين ١٩٤٨م ، ثم تدرجت حتى وصلت الرابع الابتدائي . افتتحت هذه المدرسة بمبادرة من الحاج قاسم الخضر حيث تم استئجار منزل أحد مواطني البلدة المقيم في حيفا . أما مديرة المدرسة وأول مدرسة فيها فهي الحاجة زهرية أبو بكر من طولكرم . استأنفت المدرسة عملها بعد نكبة فلسطين لمدة سنة حكومية واستمرت بالتدرج حتى أصبحت ثانوية كاملة ومديرتها الحالية (نعمة عبد المجيد قاسم الخضر) التي تدرجت بالمدرسة من الابتدائية فالاعدادية والثانوية .

قصة المرحوم عبد الله الفياض مع قسطنطين كرمنلس :

يقول ابن أخ المرحوم عبد الله الفياض الخضر ؛ الدكتور فياض ، حدثني عمي القصة الطريفة التالية ، التي وقعت مع السياسي اليوناني المخضرم رئيس جمهورية اليونان السابق ، يقول المرحوم : عندما كنت في الجامعة الامريكية كان معي في نفس السنة المرحومان (فاضل الجمالي ، وصالح جبر) وغيرهم من كبار الزعماء العراقيين في العهد الملكي ، وكان في نفس الفصل «قسطنطين كرمنلس» السياسي المخضرم واحد رؤساء الجمهورية اليونانية ، كان استاذ الرياضيات في الجامعة قد اعطانا وظيفة منزلية ، وقبل دخولنا للمحاضرة أخذنا نناقش تلك الوظيفة وطريقة الحل ، وكان بين الطلبة قسطنطين كرمنلس الذي اطلعني على طريقة حلّه فقلت له بأن حلّه خطأ ، واطلعته على الطريقة الصحيحة التي حللت بها الوظيفة .
عندئذ نظر إليّ وقال :
- لست بحاجة لشخص مثلك ، أتانا من صحراء العرب ليعلمنا الرياضيات ، ونحن معلموها الاوائل .
عندئذ نظرت حولي لأجدني محاطاً بمجموعة كبيرة من الطلاب العرب ، حيث كنت أصغرهم سناً بينما يقف كرمنلس أمامي كالعملاق ولما رأيت أنه الوحيد بين

مجموعة كبيرة من الطلاب العرب قلت له :
- اسمع يا هذا ، إن صحراء العرب التي تتحدث عنها بهذه اللهجة أعلى وأسمى من جبال الاولومبس ؟؟

عندئذ نظر اليّ شزراً غير أنه أحس بضعفه أمامنا مجتمعين ، فما كان منه إلاّ أن انسحب دون أن ينبس ببنت شفة ، أما الطلاب العرب المحيطون بي فقد انهالوا عليّ بالتهاني والتشجيع ، ومختلف عبارات الثناء والاعجاب بهذا الجواب المحكم . بعد ساعات وبعد خروجنا من المحاضرة وبعد أن قام الاستاذ بحلّ المسائل الرياضية كما حللتها أنا بالضبط ، جاء إليّ كرمنلس كسيفاً لا يدري كيف يعتذر لي عن سوء تصرفه ، وأقرّ لي بالتفوق العلمي وكان ذلك أمام بقية الزملاء ، حيث ازددت ثقة بالنفس ، وشعرت أنني كسبت السبق عليه مرتين.....!!

قصتي معه والتوراة

- يقول الدكتور فياض عبد الرحمن فياض : كنت ضيفاً في بيت عمي المرحوم عبد الله الفياض في طولكرم ، في أحد فصول الشتاء من مطلع الخمسينات ، حيث كنت ما زلت أدرس في مدرسة دير الغصون الاعدادية عندما رأيت عمي المرحوم (ابا خالد) منكباً على قراءة كتاب سميك باللغة الانجليزية .
- فقلت له : ما هذا الكتاب يا عمي ؟
- قال : إنها التوراة ، كتاب اليهود المقدس .
- قلت : ولكن ما لنا لنقرأ كتاب اليهود - (لعنهم الله) - .
- قال : يجب أن نقرأ كتاب أعدائنا لنعرف كيف يفكرون ، فنتجنب شرهم .
- ولكنك تقول إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لم يدخله التحريف ، ولا يوجد إلا قرآن واحد ، أمّا الانجيل والتوراة فهما مزوران ، لم يكتبهما عيسى وموسى بل كتبا بعد موتهما .
- قال : هذا صحيح يا بني . لكن هذه الدولة -واشار بيده جهة الغرب قاصداً اسرائيل- قد قامت بوحي من تعاليم التوراة ، وكل سياستهم مبنية على أقوال التوراة وتنبؤاتها ، وإذا أردنا أن نعرف تفكيرهم وخططهم والاعداد لمواجهتهم بالشكل

الصحيح ، فلا بد من قراءة كتبهم الدينية .

عدت لهذه الحادثة مرة أخرى سنة ١٩٧٠م أي قبل وفاته بأشهر ، حيث أعطاني صحيفة اسرائيلية تحمل رسماً كاريكاتورياً يصور جمال عبد الناصر يرتدي القلنسوة السوداء اليهودية ، وتحت الرسم التعليق التالي : عبد الناصر يقرأ التوراة . أعدت على مسامعه القصة سالفة الذكر ، فضحك -رحمه الله- وقال :
- اريد أن أقول لك يا بني أنني كنت من الأشخاص الأوائل ، وكذلك المرحوم والدي اللذين نبها لخطورة اليهود علينا وعلى العالم . وأضاف قائلاً : كنت مرة أسهر عند المرحوم الدكتور (عبد المجيد أبو حجلة) ، وكان من القادة الوطنيين وشخصية يسارية مرموقة في فلسطين .

عندما دخل عليه شاب يحمل حقيبة فيها مجموعة من الكتب القيمة ، فأخذنا نختار منها ما يروق لنا الى أن وقع بيد الدكتور عبد المجيد ابو حجلة كتاب (برتوكولات حكماء صهيون) ، عندئذ وضع الدكتور الكتاب جانباً وقال : الناس يحملون اليهود أكثر من طاقتهم «يعني ايش بقدروا يعملوا قوم الميتة» هكذا كانوا يسمونهم تقليلاً من شأنهم واستهانة بخطرهم .

- يقول المرحوم عبد الله الفياض : عندئذ تناولت الكتاب ولما قرأت عنوانه .
- قلت له : سترى يا دكتور ماذا سيفعل (قوم الميتة) هؤلاء ، على كل حال أنا أريد هذا الكتاب ، وكان حريصا على الاحتفاظ به في مكان خاص في خزانة كتبه حتى لا يسرقه أحد ، وكان يرفض إعارته لأحد .
- ويقول : لقد طبع هذا الكتاب عدة مرات ، وفي كل مرة كان يختفي من المكتبات لأن جهات مشبوهة كانت تشتري كل النسخ حتى لا يطلع القارىء العربي عليها ويعي حقيقة الاطماع والاساليب الصهيونية من أجل الوصول الى أهدافها .

جرائم النازية

كان المرحوم عبد الله الفياض الخضر يشكك دائماً بالاعداد التي تذكرها المصادر الصهيونية لليهود الذين تعرضوا للابادة على يد الفاشية ، والنازية ، ويؤكد من جهة أخرى ، أن الحركة الصهيونية قد ساهمت الى حدّ كبير بوقوع مجزرة اليهود أو على الأقل دفعت الامور لوقوعها ولم تعمل بجدية لانقاذ يهود اوروبا من الابادة كنا نحن ، المقربين إليه أبناءه وأبناء أخيه ، ننظر الى هذا الكلام باستغراب إلى أن بدأنا ننفتح سياسياً . وفي هذا الصدد لابد من الاشارة الى وثائق مؤتمرات الحزب الشيوعي الاسرائيلي السادس عشر سنة ١٩٦٩م ، والسابع عشر سنة ١٩٧٢م والثامن عشر سنة ١٩٧٤م التي فضحت وبشكل جلي هذا الأمر وفي هذا الصدد لابد من الاشارة لتصريحات الزعيم الشيوعي البولندي السابق فلاديسلاف جومولكا إثر احداث ١٩٦٨م والتي كانت الصهيونية وراءها ، الذي اتهم بتصريحاته بشكل واضح زعماء اليهود بالهرب بأموالهم الى الخارج قبل الغزو النازي أو سكوتهم عن المجزرة مقابل السماح لهم بالخروج سالمين بأموالهم ، كذلك الأموال التي قدمت للحزب النازي الالماني بعد تسلمه الحكم في المانيا . لقد كان المرحوم عبد الله يقول دائماً : اذكروا لي اسم زعيم يهودي أو مليونير يهودي قتل على يد النازيين ، وهذا بالضبط ما ذكره جومولكا ، وفي هذا الصدد يقول ابن أخيه الدكتور فياض الذي كان في زيارة صيفية للوطن في تلك الفترة : كنت أجلس مع عمي المرحوم وكالعادة وفي كل لقاء يجمعنا كانت السياسة ثالثتنا.

- قلت له : هل سمعت يا عمي ما صرح به فلاديسلاف جومولكا الزعيم الشيوعي البولندي ؟؟ وأعدت على مسامعه ما سلف ذكره.

- فقال : آه يا عمي ، عندما كنت أقول لكم ذلك منذ الخمسينات لم تكونوا لتصدقوا قولي ، ولكن عندما قالها الرفيق جومولكا صدقتم ذلك ، وهنا ضحكنا وكانت ضحكة ذات معنى لا يضاهيها إلا شعوره بالنشوة بعد قصته مع قسطنطين كرمنلس !

انجازات عبد الله الفياض في الوزارة

هذه نبذة عن الانجازات التي حققها والمواقف التي اتخذها المرحوم عبد الله الفياض الخضر في أثناء تولية وزارة الانشاء والتعمير سنة١٩٥٨م - ١٩٥٩م وكذلك خلال فترة نيابته عن منطقة طولكرم في البرلمان الاردني .

١- كانت مهمة وزارة الانشاء والتعمير الاشراف على شؤون اللاجئين الفلسطينيين، الذين طردوا من أرضهم في حرب ١٩٤٨م ، وكان المرحوم عبد الله الفياض واحداً ممن عانوا ضياع الارض ، فقد سلمت معظم أملاكه (ما يزيد عن ٨٠٪ منها) بموجب اتفاقية رودس عام ١٩٤٩م ، وهكذا كان يشعر بما يشعر به كل لاجيء فلسطيني ، وكان -رحمه الله- ومنذ البداية يدرك أبعاد المأساة الفلسطينية ، والمخططات الموضوعة لتصفية القضية الفلسطينية فعمل على وقف بيع بطاقات التموين الموزعة على اللاجئين الفلسطينيين ، وبذلك تنتهي مشكلة اللاجئين حسب تصور الجهات المخططة ، وقد اقترح ، وبعد دراسة مستفيضه قام بها مختصون وبتوجيه منه ، على وكالة غوث اللاجئين ما يلي :-

- توزيع أراض زراعية في غور الاردن على كل عائلة ترغب في ذلك ، وبحد أدنى ٣٠ دونماً للعائلة ، وبحيث تكون هذه الارض مروية وتزرع بالشمندر .
- انشاء مصنع للسكر يعتمد في انتاجه على الشمندر المنتج من هذه المزارع ، ويساهم فيه من يرغب من اللاجئين .
- تؤخذ البطاقات ممن يشاركون في أيّ من المشروعين الزراعي والصناعي المذكورين ، وتعطى للاجئين غير المسجلين في قوائم اللاجئين ، وبذلك لا ينقص عدد اللاجئين المسجلين ، ولا تطوى صفحة القضية الفلسطينية .
- تكون الاراضي الزراعية الواردة في البند الاول آنفاً وكذلك المصنع الوارد في البند الثاني تحت تصرف اللاجئين ، وليست ملكاً لهم ، منعاً لتوطينهم ، وتعود ملكيتها للدولة الاردنية عند عودة اللاجئين الى بيوتهم في فلسطين .

استدعى المرحوم عبد الله الفياض مدير وكالة الغوث من بيروت ، وبحث معه هذه الخطة ، ولكن مدير الوكالة اعتذر عن الموافقة على هذه الاقتراحات ، فأجابه المرحوم عبد الله الفياض بأنه أيضاً لا يوافق على تصفية القضية الفلسطينية بشراء الوكالة لبطاقات اللاجئين .

٢- وضع -رحمه الله- خطة لبناء المدارس في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، لضمان تعليم ابنائهم على أن تقوم وكالة الغوث بهذا العمل شريطة أن تعود ملكية هذه المدارس الى البلديات بعد عشر سنوات من انشائها ، وقد تمّ انشاء هذه المدارس فعلاً، فضلاً عن معاهد التعليم الاكاديمي ، كما طلب من وكالة الغوث انشاء المعاهد المهنية ، منها مركز وادي السير المهني (مدرسة صناعة وادي السير) التابعة لوكالة الغوث ، ومركز قلنديا المهني ، وقد تمّ انشاؤهما ، ويعملان بكفاءة ممتازة حتى الآن.

٣- بدأ منذ تولية الوزارة بزيارات ميدانية الى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، وكان يطلع -رحمه الله- على مشاكلهم ؛ صغيرها وكبيرها ، ويساعدهم على حلّها ، واضعاً مصلحة اللاجئين فوق المصالح الشخصية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، قضية مقبرة مخيم نور شمس ، في قضاء طولكرم ، فقد استولى على ارض يملكها صديقه المرحوم (شريف القبج) مقابل ثمنها وجعلها مقبرة لموتى المخيم لقربها من مخيمهم .

٤- قام المرحوم عبد الله الفياض في أثناء توليه وزارة الانشاء والتعمير بوضع نظام الابتعاث للطلاب اللاجئين الى الجامعات في الخارج (كانت غالباً الى الجامعة الامريكية في بيروت) وكانت تشمل أربعين طالباً في العام ، ويوفد في هذه البعثات افضل أربعين طالباً من حيث مجموع العلامات في امتحان الدراسة الثانوية بالتنافس الحرّ ، وما زال هذا النظام العادل في بعثات وكالة الغوث متبعاً حتى الآن .

٥- كان بابه مفتوحاً في الوزارة ، وفي البيت لكل صاحب شكوى أو مراجعة لحلّ قضية تتعلق باللاجئين ، وكان شعور اللاجئين بأن هذا الوزير هو منهم ، يشعر بشعورهم ، ويتحسس مشاكلهم ، وكان -رحمه الله- أحد أبناء الشعب الفلسطيني الواعين لمشاكله ، والمؤامرات التي تحاك ضده ، وكان بعيد النظر متوجساً باستمرار من الخطر الداهم الذي سيتعرض له الشعب الفلسطيني وقضيته وأرضه وقد تنبأ بما حدث في عام ١٩٦٧م قبل وقوعه ، وأن اليهود سيطردون الفلسطينيين من باقي فلسطين ، ومشياً على الاقدام ، وهذا ما حدث لمدينة طولكرم ، وبعض القرى إثر هزيمة ١٩٦٧م ، ولولا تدخلات دولية لتم طرد جميع سكان الضفة والقطاع . وكان يتوجس أيضاً من التوسع الصهيوني خارج حدود فلسطين وهذا ما حدث عام ١٩٦٧م، وحتى بعد الهزيمة وسقوط جنوب غرب سوريا (كما كان -رحمه الله-

يسمي هضبة الجولان قبل ١٩٦٧م) وصحراء سيناء فضلاً عن باقي فلسطين ، وكان يحذر على الدوام من توسع أكبر للعدو الصهيوني على حساب الارض العربية ، وبخاصة أرض فلسطين التي يعتبرونها أرض الميعاد ، بخاصة وأن الحركة الصهيونية العالمية ومنذ قرون من الزمن ، وحتى بعد قيام «دولة اسرائيل» تسير حسب تعاليم الديانة اليهودية المستوحاة من التوراة والتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون ، وغيرها من الكتب والتعاليم المغرقة في اصوليتها ورجعيتها .

٦- كان هم عبد الله الفياض الخضر رفع مستوى منطقة طولكرم الاجتماعي والخدماتي وقد اخترنا في هذا الصدد صورتين لكتابين كان قد رفعهما -حينما كان نائباً لمنطقة طولكرم- الى رئيس مجلس النواب الاردني للايعاز للحكومة الاردنية بتنفيذ بعض المشاريع الحيوية لمنطقة طولكرم .

معالي رئيس مجلس النواب الاردني الاكرم

الموضوع : اقتراح رغبة

١) إن طريق طولكرم الشعراوية كانت من طرق الدرجة الاولى زمن الانتداب وخضعت هذه الطريق بدخول قسم من المنطقة باتفاقية رودس ضمن المنطقة المحتلة فتحول هذا الطريق عن طريق دير الغصون الذي هو طريق فرعي ، وبما أن هذه الطريق قد شقت في أرض جبلية بعرض أربعة أمتار اسفلت وثلاثة امتار غير اسفلت ، ويمر عليها عدد من الباصات الكبيرة وعدد من سيارات الشحن الكبيرة بصورة دائمة . إن ضيقها يعرض السيارات لخطر التدهور والاصطدام . اقترح توسيع هذا الطريق ليصبح ستة أمتار اسفلت وبما أن هذا الطريق يربط قضاء طولكرم بقضاء جنين ويقصر الطريق الى جنين في بعض الجهات خمسة كيلومترات، ويوجد لحد الآن قسم منه غير معبد وطول هذا القسم ثمانية كيلومترات فقط شق في زمن الانتداب ورصف ويوجد على جوانبه الصرار والحجارة التي كانت ستستعمل في تعبيده فانني أقترح أيضاً تعبيد الثمانية كيلومترات هذه لتسهيل الاتصال بين سكان قضاء طولكرم وقضاء جنين .

معالي رئيس مجلس النواب الاكرم
الموضوع : اقتراح رغبة

٢) بما أن مقسم الهاتف في طولكرم أصبح قديماً ولا يفي بحاجة السكان ، اقترح ابداله بمقسم آلي جديد بشبكة كافية لسد حاجات المشتركين والطالبين الجدد ، كما وأني اقترح انشاء شعب بريد في عتيل ، وعلار ، وزيتا ، وباقة الشرقية ، وقفين، وكفر جمال، وفرعون ، وجيوس ، وبلعا ، وكفر اللبد ، وبيت ليد . مع تحويل شعبة بريد دير الغصون الى مكتب .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام - نائب طولكرم- عبد الله الفياض الخضر

مخيم الوحدات

أثناء تولي المرحوم وزارة الانشاء والتعمير تقرر البدء ببناء وحدات سكنية متواضعة في المخيمات الفلسطينية بدلاً من بيوت الصفيح التي كانت قائمة قبل ذلك ، ولكثرة المنافسة والتسابق للحصول على وحدة سكنية أخذ الناس يتوجهون لكبار المسؤولين في الدولة للتوسط لدى وزارة الانشاء والتعمير . كان عبد الله الفياض الخضر يحتفظ بكل الرسائل والكتب ابتداء من زملائه الوزراء ورئيس الوزراء والارادات الملكية الى أن انتهي من بناء اول مجموعة من الوحدات . عندئذ وضع كل هذه الكتب في حقيبة واتصل بالديوان الملكي طالباً موعداً لمقابلة الملك حسين، وعند مثوله أمام الملك قدم له الحقيبة مرفقة بكتاب استقالة من الوزارة ، طلب الملك من عبد الله الفياض توضيحاً، عندئذ فتح الحقيبة وأخرج ما بها على الطاولة أمام الملك قائلاً :

- كيف تريدون لي يا سيدي أن أوزع الوحدات السكنية على اللاجئين على اساس هذه الكتب أم على أساس الاولوية؟؟

عندئذ سرّ الملك حسين لهذا الموقف النزيه والشجاع ، وقال له :

- اسمع يا عبد الله اترك هذه الحقيبة وما بها وخذ معك كتاب استقالتك الذي لا أوافق عليه ووزع الوحدات كما ترى...

هكذا تم تأسيس مخيم الوحدات الذي سمي بهذا الاسم منذ ذلك التاريخ أي

في سنة ١٩٥٩م فكان أول مخيم فلسطيني يجري بناء الوحدات السكنية به وبعد ذلك تم بناء وتجديد مخيم طولكرم ونور شمس ومن ثم استمرت عملية البناء في جميع أنحاء الاردن بضفتيه .

ولابد هنا من الاشارة للاغراءات المادية التي تعرض لها بهذا الصدد غير أن أصحابها كانوا يحجمون عن عرضها عليه مباشرة لأنهم يعرفون عبد الله الفياض ومدى نزاهته ونظافة يده .

بعد الاحتلال

بعد احتلال الصهاينة للضفة الغربية ، قرر المرحوم عبد الله الفياض الخضر اتباع طريق العصيان المدني ، بالنسبة لسلطات الاحتلال ، رفض بطاقة الهوية ، التي أصدرتها سلطات الاحتلال ، كما رفض ترخيص سيارته الخاصة لدى سلطات الاحتلال ورفعها على الحجارة الى أن باعها ، وقاطع السلطات والدوائر الرسمية في الاراضي المحتلة واعتكف في بيته ومن أجل ترسيخ الصمود في الارض المحتلة ، فقد استأجر إضافة لأرضه أراضي أخرى لاستغلالها في الزراعة ، وبذلك شعر الناس بشيء من الطمأنينة مما دفعهم لمواصلة المشوار والعودة للعمل والأمل . هكذا واصل المرحوم عبد الله الفياض دوره الريادي مرة أخرى وفي الوقت الذي عاد لعمله الزراعي ، تشجيعاً على التشبث بالارض . قام بمقاطعة الحكم العسكري مقاطعة تامة ورفض مقابلة أيّ من المسؤولين الاسرائيليين أو حتى أيّ صحفي أو مراسل .

- ومرة قال له أحد المراسلين اليهود : يا عبد الله بيك...لماذا لا تعمل كما يعمل بقية زعماء البلاد ؟

- أجابه : أنا لا أقول ما تقول بل أقول لماذا لا يفعل زعماء الاراضي المحتلة كما يعمل عبد الله الفياض ويقتدون به.....؟!

والى هنا انتهت المقابلة الصحفية كما بدأت بدون (س) أو (ج) .....!!

بقي المرحوم ابو خالد سائراً على نفس النهج والى آخر يوم في أيام حياته .

ومرة استدعي (موسى ليفي) الذي كان يعمل مساعداً للحاكم العسكري في طولكرم وكان مشهوراً بفظاظته ، مختار احدى قرى الشمراوية الذي كان مقرباً من المرحوم وقال له :

- «ارجوك أن تسأل عبد الله الفياض كم بجامة أتلف وأهرى صاحبك أبو شعر أبيض (عبد الله الفياض) ارجوك أن تسأله هذا السؤال على لساني٠٠٠٠!؟

جاء المختار أبو جمال للمرحوم وعلى مسمع من ابن أخيه الدكتور (فياض) -الذي كان كان في زيارة صيفية من يوغسلافيا- ونقل له ما قاله موسى ليفي . ضحك المرحوم ابو خالد وقال :

- «قل له سيبقى يهري بيجامات حتى ما تنخلعوا من هالبلاد» . ثم نظر لابن أخيه (فياض) وقال : أنت تدرس في يوغسلافيا ، حدّث الناس يا بني عن المقاومة السلبية التي كان يمارسها المواطنون الاوروبيون ضد الاحتلال النازي وجيشه٠٠٠حدّث يا فياض ، انقل لشعبنا ما سمعت عن الشعب اليوغسلافي البطل٠٠٠٠!!

وفاته

في ليلة ٢٦-١٩٧٠/١٢/٢٧م انتقل عبد الله الفياض الخضر الى جوار ربه فخرج كل الناس الذين كانوا يقفون الى جانبه يؤمون ديوان والده في دير الغصون معزين ومؤازرين . خرج هؤلاء جميعاً وهم يذرفون دموع الأسى واللوعة على فراق زعيمهم وقدوتهم الصالحة . نقل جثمان الفقيد في نفس الليلة الى ديوان العائلة في دير الغصون، وفي اليوم التالي سجي في مسجد القرية حيث توالت الالوف المؤلفة لوداعه والقاء أخر نظرة . بقي بيت العزاء مفتوحاً لمدة اسبوع كامل تتوافد عليه شخصيات فلسطينية من الناقورة حتى رفح ، ومن البحر الى النهر . كان لهذا الفيض الدافق لجموع المعزين مفاجأة للحاكم العسكري الاسرائيلي في طولكرم الذي أبدى ذهوله .

بعد انتهاء بيت العزاء في دير الغصون فتح بيت عزاء أخر في عمان ، حيث أمّه وفود المعزين من الأردن وخارج الأردن كما انهالت البرقيات من مختلف أنحاء الوطن العربي من أبناء الوطن المغتربين ومن بعض الشخصيات العربية وبعض القادة العرب نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر برقية الشيخ (زايد بن سلطان أل نهيان) رئيس دولة الامارات العربية . كان على رأس المعزين جلالة الملك

حسين وولي عهده الامير حسن ودولة رئيس الوزراء والوزراء والوزراء السابقون ورئيس مجلس الأعيان . بقي بيت ابنه الاكبر خالد يعج بالمعزين لمدة تزيد عن الاسبوع ، بعد فترة من الزمن انتخب ابنه (خالد) ليحل محله في مجلس النواب الاردني .

بقي في كرسي النيابة عن منطقة طولكرم حتى فكّ الارتباط بين الضفتين سنة ١٩٨٧م، كما شغل خلالها عضوية المجلس الاستشاري الاردني لثلاث دورات متعاقبة كل منها سنتان ، رحل المرحوم «ابو خالد» ولكن ذكراه ستبقى خالدة في نفوس أبنائه ومريديه .

آثاره الأدبية والثقافية

على الرغم من مساهماته في كثير من الندوات السياسية والثقافية ، والقائه عدداً من الخطب في المناسبات الوطنية والتاريخية من زمن الانتداب البريطاني لفلسطين الى فترة الوحدة الاردنية-الفلسطينية ومشاركته في جلسات مجلس النواب . وفي هذا الصدد، لابد من التنويه بقضية تزوير الانتخابات النيابية ، والتي كانت تستهدف اسقاطه لافساح المجال أمام غيره للوصول الى البرلمان ، ابتداءً من أول انتخابات سنة ١٩٥٠م وحتى سنة ١٩٥٨م ، والتي خاضها كلها عدا دورة واحدة . كان المرحوم عبد الله الفياض الخضر يتمتع بفكر عميق وثاقب للامور ، وتتسم أراؤه السياسية والاجتماعية ببعد النظر والجرأة النادرة معتمداً على ثقافة واسعة ، ولا غرو في ذلك ، فمكتبته الغنية بالمصادر الادبية من امهات الكتب في اللغة ، والشعر ، والفكر ، والسياسة ، والعلوم خير دليل ، تلك المكتبة التي أوصى -رحمه الله- بتقديمها هدية لمدرسة دير الغصون بعد وفاته ، وهذا ما تمّ بالفعل ، ولاشك أن هذه المكتبة تعطي صورة واضحة عن ثقافة المرحوم الواسعة والتي تضرب بجذورها حتى المنابع العميقة لتراثنا الاصيل.

في أوائل الخمسينات كان ابن اخيه الدكتور فياض مازال تلميذا في مدرسة دير الغصون الاعدادية ، حين كلفهم الاستاذ الشيخ (محمد سعيد الجمل) ، الذي

كان حينئذ يدرس اللغة العربية في مدرسة دير الغصون ، بكتابة موضوع انشاء في البيت وموضوعه «الربيع» ، والذي طلب من عمه الكتابة حوله ، وقد لبى بدوره الطلب ، ولما عاد صباح السبت الى المدرسة ، وقدم الموضوع للاستاذ الشيخ الجمل أعجب به ، وطلب من فياض قراءة الموضوع على مسمع من طلبة الصف الثالث الاعدادي ، ومن ثم على الصفوف الاعدادية كلها . أبدى جميع الاساتذة اعجابهم بالموضوع ورقة اللغة الشاعرية ، شجع مدير المدرسة المرحوم (احمد بدوي مصطفى) تعميم الموضوع على الصفوف الاعدادية كلها في المدرسة . اننا إذ نتذكر تلك الايام وما فرطنا بها من أثار قيمة كان يجب أن نحتفظ بها ليوم موعود كهذا ، ولكنا لم نكن لنقدر أهمية ما بأيدينا في تلك الأيام الخوالي .

إن خير ما نقدمه للقارىء الكريم هو تلك المحاضرة القيمة التي كان المرحوم عبد الله الفياض قد ألقاها في معهد خضوري الزراعية (كلية الحسين الزراعية بطولكرم) بتاريخ ١٩٦٢/١٢/٢٠م . امام طلبة المعهد واساتذته .

تاريخ مدينة طولكرم
المحاضرة التي أعدها (عبد الله الفياض)
وألقاها في كلية الحسين
بطولكرم بتاريخ : ١٩٦٢/١٢/٢٠م

لايوجد في طولكرم من الأثار ما يدل على أنه كان لها شأن تاريخي خاص بها كما أن التاريخ لم يدون بين صفحاته شيئاً عنها ولذلك قد أكون مصيباً إذا قلت أنها كانت بلدة من البلدان التي تمتد أمام السهل الساحلي على المرتفعات وتشكل بمجموعها خطاً دفاعياً عن طرق المواصلات الخلفية وأماكن الحشد العسكري وهي تشرف وتتسلط على معابر البلدان الداخلية الكبيرة ، بصورة تمنع وتعيق تسرب الغزاة الى داخل البلاد لذلك من الممكن جداً أن يكون الرومان قد انشأوا بها حصنا في المكان الذي تقع فيه دار الحكومة والمدرسة العدوية ومستشفى طولكرم يتصل شرقاً بحصن أقوى منه في قرية ذنابة ويتصل جنوباً بحصن أخر في الحارة الشرقية في منطقة خزان المياه القديم والجامع القديم وهذا يتصل مع حصن في موقع

المنشية واخر في موقع المدرسة الفاضلية ويتصل جنوبا بحصن في موقع قرية ارتاح وهذه الحصون الصغيرة تتصل جنوباً بموقع خربة جبارة و فرعون ، وشرقا بموقع خربة الطياح ، وشمالاً بموقع خربة اكتابا ، وهذه بمجموعها تشكل خطاً دفاعياً امامياً قويا عن معبر وادي التين جنوب طولكرم ومعبر وادي الزيمر شمال طولكرم وكلما اتجهنا شمالا أو جنوباً نجد مثل هذه التحصينات على المرتفعات تتسلط وتسيطر على معابر الوديان وكانت جميع هذه متصلة مع بعضها ومع الحصون الداخلية بطرق عريضة مرصوفة رصفاً جيداً تصلح لسير العربات عليها ولايزال بعض أجزاء من هذه الطرق ظاهرة المعالم حتى هذا اليوم .

إن المدن الرومانية الكبيرة تقع بعيداً في داخل المناطق الجبلية كي لا يتمكن العدو من الوصول اليها لأن حولها خطاً عميقاً من الحصون الصغيرة المنتشرة في طول البلاد وعرضها وهذه الحصون كانت سببا في أمان البلدة واستقرارها وازدهارها ولمدة طويلة من الزمن والدليل على ذلك ما نراه باقياً لحد الأن من الكونتور الروماني أو التكثيف الذي لايكاد يخلو منه منحدر من منحدرات الجبال على جانبي الطريق الى جنين ونابلس والقدس ، ولا يزال الكثير من هذه الكنتورات بحالة حسنة لحد الأن . وان دل على شيء فانه يدل على كثرة اليد العاملة وعلى أن المناطق الجبلية والداخلية من البلاد كانت معمورة ومأهولة أكثر منها في الوقت الحاضر .

انني لست مؤرخا ولا أريد أن أكون مؤرخاً وكنت في المدرسة لا أستثقل إلا درس التاريخ ، وما حديثي هذا اليكم إلا فكرة تكونت عندي شخصياً نتيجة كثرة تجوالي في جميع أنحاء البلاد ومشاهدتي لمعالم المدينة الرومانية التي لايكاد يخلو منها مكان في الضفة الغربية والشرقية ولو كان حديثي هذا إليكم مدونا في كتاب يحمل اسم التاريخ لثقلت على نفسي قراءته .

ولكن يظهر أن الاخ عميد هذه الكلية الدكتور سليم الناشف سمعني مرة أتحدث عن طولكرم ، وكيف نشأت وتكونت كمدينة فظن أنني مؤرخ ففاجأني بأن طلب مني إلقاء هذه المحاضرة عن تاريخ طولكرم فخجلت أن أظهر عجزي

بالاعتذار واستعنت بالله وحضرت هذا الحديث عن طولكرم كقصة لا كتاريخ وإنني اعتقد أن تسميته تاريخاً هو واعتداء صارخ على التاريخ على المؤرخين ولذلك إنني سميته قصة مدينة طولكرم لا تاريخ مدينة طولكرم .

والان يمكننا أن نقول أن موقع مدينة طولكرم يدل أنها كانت تقع في جملة التحصينات الممتدة أمام السهل الساحلي كما قلت وأعرف من هذه التحصينات مواقع «بيت نبالا» و «قوله» «ومجدل الصادق» ، و «كفر قاسم» ، «تلة صوفين» ، و «رأس عامر» ، و «خربة جبارة» ، و «فرعون» ، و «ارتاح في الجنوب» ، و «رأس شويكة» ، و «كفر سِب»، ويمّه ، وابثان ، والجلمة ، وجَت ، وباقة الغربية ، وميسر ، وعارة ، وعرعرة ، وأم الفحم في الشمال ، وكلها تتصل بخط مواصلات خلفي مع اللجون أو مَجدّو وهو أعظم حصن في فلسطين ويشرف على سهل مرج ابن عامر الممتد من عكا غربا الى بيسان شرقا ، وقد شهد هذا الحصن أعظم المعارك التاريخية في هذه البلاد إذ كان هو الممر الوحيد بين السهل الساحلي وسهل مرج ابن عامر أو بين الشمال كل الشمال والجنوب . ومن المؤسف أن أقول أن جميع هذه المواقع ذات الاهمية الاستراتيجية هي الأن تحت سيادة العدو وما عدا تلة صوفين التي وقعت عليها معركة قلقيلية عام ١٩٥٦م ودحر فيها اليهود وكان بودهم احتلالها، وفرعون ، وارتاح ، وطولكرم ، وراس شويكة .

ان اسم طولكرم هو اسم عربي او لاشك أنه اسم حديث فهناك أقاويل حول هذه التسمية. وهذه الاقاويل ليس لها سند تاريخي على ما يبدو . ويقال أن اسمها طوركرم وطور بمعنى المكان المرتفع ، وايضاً يقال أن اسمها كان تل كرام هنا اسم شخص وقول أخر سمعته من المرحوم الاستاذ درويش المقدادي بأنها كانت تدعى تل الكرام وكانت تسمى أيام الصليبيين الذين كانوا يسمونها تل كرام وعلى كل يمكننا أن نقول أن اسمها عربي مائة بالمائة وطبعا أن هذه التسمية لا تمتد الى العهد الروماني ومن المؤكد أن يكون اسمها الروماني غير هذا الاسم .

ومن الاثار التي لا تزال ظاهرة حتى هذا اليوم في هذا الموقع ، خمسة أبار رومانية ، البئر الاولى غرب قرية ارتاح ، والثانية في منشية طولكرم ، امام كشك

القهوة الى الجنوب الشرقي على حافة الشارع من الشمال ، والثالثة بئر البيارة ، التي تضخ مياهها الى خزان البلدة، والرابعة واقعة في مثلث الشوارع جنوب المدرسة الفاضلية ، وتضخ مياهها الى الخزان ايضا ، والخامسة الى جانب سكة الحديد ضمن أراضي هذه الكلية ، وتضخ مياهها الى بركة الكلية وللشرب أيضاً . ومثل هذه الآبار المنتشرة بكثرة بين هذه التحصينات القديمة في قضاء طولكرم تتراوح الابعاد بين الواحدة والاخرى من ماية متر الى ألفي متر على الأكثر .

والآن ننتقل بكم الى طولكرم المدينة الحديثة ، التي لا يتجاوز عمرها كمدينة الستين عاماً ، وكيف أصبحت مركزاً لقضاء كان اسمه في العهد التركي قضاء بني صعب ، وصار اسمه قضاء طولكرم اثناء الانتداب ، نسبة الى مدينة طولكرم ، ويظهر أن سبب عدم تسمية قضاء طولكرم في زمن الاتراك يرجع الى صفر هذه القرية ، وعدم بروز اسمها بين القرى المعروفة في القضاء ، ولذلك سميّ بقضاء منطقة بني صعب ، نسبة الى منطقة بني صعب ، التي تمتد من ارتاح الى حدود منطقة راس العين في الجنوب ، وعندما ظهرت مدينة طولكرم الى الوجود سميّ قضاء طولكرم ، ويدلنا على صحة هذا ، أن قضاء جنين مثلاً سميّ قضاء جنين حين تأسيسه ، لأن جنين كانت بلدة كبيرة ومشهورة قبل اتخاذها مركزاً للقضاء .

حتى أواخر القرن التاسع عشر ، كانت هذه البلاد في حالة فوضى ، ويتحكم فيها الاقطاع والمشيخات ، ورغم أنها كانت ضمن الامبراطورية العثمانية إلا أنه لم يكن هنالك اثر للحكم المدني في هذه البلاد ، وكانت الحكومة التركية في ذلك الوقت لا يهمها إلاّ أن تجبي ما تيسر لها من الضرائب بالقوة والبطش ، فقد كان لها طابور من الجنود ، أي كتيبة من الجنود ، مركزها دمشق ، وكان هذا الطابور يدعى طابور الميري، والميري هنا تعني الاموال الاميرية أو الضرائب ، وكان هذا الطابور يخرج من الشام بكامل أسلحته ، من مشاة وخيّالة ومدفعية في اتجاه المقاطعات والقرى التي كانت تخضع لحكم الشيوخ ، وتطلب من الشيخ دفع الضرائب المترتبة على مقاطعته أو قريته حالاً ، وهنا يقوم الشيخ وتساعده القوات المسلحة على جمع الضرائب المفروضة بحسب رأيه ، وكثيراً ما كانت بعض البلاد ترفض الدفع وتستعصي على الجنود فكانت تضرب بالمدفعية ويدخلها الجنود ، ويحصّلون الاموال

بالقوة ، كانت الاراضي في ذلك الوقت غير مسجلة ، وكانت موزعة على المزارعين من قبل المشايخ ، وكان البيع والشراء يجري بين الافراد مباشرة بصك بيع يكتبه خطيب القرية ، وكلمة الخطيب في ذلك الوقت ، كانت تعني معلم الاولاد وامام القرية أو العشيرة ، وطبعاً عدم وجود أثر للحكومة يعني أيضاً عدم وجود احصاء نفوس ، وبالتالي عدم وجود جندية ، وعدم وجود محاكم نظامية وشرعية ، ولذلك كان لابد للحكومة من تقسيم البلاد الى اقضية ونواح ، لاجل تأمين تسجيل الاراضي ، وفرض الضرائب ، وتسجيل النفوس من أجل الجندية ، وإنشاء محاكم نظامية وشرعية ، لحفظ النظام بين الناس ، وإزالة حكم المشيخات والاقطاع في البلاد .

وعلى هذا الاساس رأت الحكومة التركية ، أن تؤسس في هذه المنطقة قضاءً أو قائمقامية تكون تابعة لمتصرفية نابلس ، وتقرر أن تكون قرية الطيبة مركزاً لهذا القضاء، ولكن يظهر أنه لم يرق لمشايخ الطيبة أن تكون قريتهم مركزاً لسلطة أقوى من سلطتهم، فقاموا عليهم وطردوهم من الطيبة ، فذهبت الحكومة الى شويكة ، وجعلتها مركزاً لهذه القائمقامية ، لكن حظها في قرية شويكة لم يكن بأوفر من حظها في قرية الطيبة ، إذ لاقت ذات المصير وطردت .

إن القائمقام الموكول اليه الامر في ذلك الوقت ، لم يتسرب الى نفسه اليأس ، ففكر في الامر ، ويظهر أنه كان من ذوي الخبرة في أحوال البلاد ومقدار نفوذ المشايخ فيها ، فنقل حالا مركز الحكومة الى قرية صغيرة جداً تقطنها بعض العائلات الصغيرة في ذلك الوقت ، والتي أتت اليها من أنحاء متعددة من البلاد ، لمزاولة الاعمال الزراعية لوقوعها على السهل الساحلي ، وبعض العائلات التي رافقت حملة ابراهيم باشا المصري، وهذه القرية الصغيرة ، التي لم يكن في ذلك الوقت فيها مشايخ أو مشيخات يتأثر نفوذها أو يتقلص بوجود نفوذ أقوى ، وهو نفوذ الحكومة ، هي قرية طولكرم التي كانت تضم أيضاً ، مجموعة من العزب لكبار مزارعي الجبل ، الذين كانوا يفلحون في أراضي السهل الممتد امام طولكرم ، فيرسلون اليها الحراثين وحيوانات الحرث والبذار، يقيمون فيها أثناء فصل الزراعة . وهكذا استقرت الحكومة في طولكرم ، التي تتكون من مساكن بسيطة وقليلة جداً ،

ولايزال قسم منها باقياً حتى الأن ، في الجهة الشرقية من الجامع القديم ، وفي الحارة الشرقية ، التي كانت قسم منها في ذلك الوقت يشكل كل طولكرم ، وهذا الجامع القديم الذي رمم ووسع مراراً ، بسبب ازدياد السكان بعد تشكيل الحكومة ، كان يقع في الطرف الغربي والشمالي من البلد ، وعلى مقربة من الجامع ، اتخذ القائمقام دائرته في دار «ابو الرّب» التي يقوم مكانها الأن مخازن الحاج داود ابو شريفة وداره .

الأن عرفنا كيف تشكلت قائمقامية بني صعب ، وكيف تطور هذا الحدث التاريخي الهام لصالح هذه القرية الصغيرة ، التي كانت عِزباً للحراثين من قرية ذنابة وقرى الجبل ، والاهم من ذلك أن تتطور هذه الاكواخ خلال بضع سنوات فتصبح مدينة كانت تعد من المدن الفلسطينية المزدهرة .

وعندما تأسست الحكومة اقامت معها سلطتين أهليتين : الاولى البلدية ، والثانية لجنة المعارف الاهلية . الاولى كانت تتمول من الضرائب والرسوم البلدية المعتادة ، والثانية من ضريبة المعارف ، التي كانت كانت تجبى من المدينة والقرى بنسبة معينة يحددها القانون .

مضت هذه السلطات الثلاث بتعاون ايجابي منقطع النظير في سبيل نهضة البلد والقضاء، تحت اشراف وادارة قائمقام عربي من دمشق ، ويظهر من أعماله ، وما حققه من انجازات خلال فترة قصيرة من الزمن ، إنه كان من العاملين المخلصين لعملهم ، وقد أجاد التخطيط والتنفيذ في انجاح المهمة الموكولة إليه نجاحاً منقطع النظير ، في وقت كانت المشيخات في القرى تشكل حكومات يخضع السكان لمشيئتها ، ولا يقدر انسان أن يتهرب من سلطتها وسيطرتها ، فأنشأ أول مدرسة من أموال لجنة المعارف الاهلية ، والدور الثاني مدرسة ، وهذا البناء لا يزال قائماً حتى الأن ، وباعته لجنة المعارف الاهلية الى أحد المواطنين في زمن الانتداب بعد أن انشأت عدداً من المدارس للذكور والاناث ، على الطراز الحديث يكفي حاجة السكان .

على اثر افتتاح هذه المدرسة أمّها الكثير من أبناء القرى ، واستوطنت في طولكرم الكثير من العائلات النابلسية ، لتعاطي التجارة وبعض المهن مثل أعمال البناء والحدادة وغيرها . ان الذي شجع هذه العائلات على الاستيطان ، هو استتباب الامن وتوفير التعليم لابنائهم ، فأنشأت بيوتاً ودكاكين حول المدرسة وبالقرب منها ، وكانت في ذلك الوقت تعد بيوتاً فخمة ولا تزال قائمة حتى الأن . بعد ذلك نشطت الحركة العمرانية ، واتجه العمار والانشاء نحو الغرب من الجامع القديم ، ومن أجل توفير أسباب الراحة للذين يؤمون طولكرم ، انشيء من أموال لجنة المعارف الأهلية ، بناء مكون من طابقين، الطابق الاول دكاكين ومقهى ، والطابق الثاني فندق . وتسهيلاً للذين يركبون الدواب من الزوار ، او اصحاب الاعمال أنشيء خان الى جانب المقهى من جهة الغرب ، وهكذا أصبحت زيارة طولكرم والاقامة فيها لمدة قصيرة سهلة وممكنة ، إذ توفرت فيها اسباب الاقامة . وهذه الطريقة أمّنت دخلاً ثابتاً للمعارف الاهلية ، وساعدها فيما بعد على تنفيذ مشاريعه التعليمية في المدينة والقرية ، وانني أذكر جيداً أنها أسست في دير الغصون مدرسة ابتدائية ، وزودتها بالأثاث الحديث من مقاعد وغيرها قبل الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م ، وطبعاً لابد وأنها قامت بمثل هذا العمل في بعض القرى الاخرى . وقبل الحرب العالمية الاولى أيضاً قامت ببناء مدرسة اعدادية زراعية الى الغرب من طولكرم سمتها مدرسة الزراعة ، والحقت بها أرضاً زراعية فيها بئر رومانية ركبت عليها مضخة ألية تضخ المياه لري الارض ، وهذه الارض كانت تدعى بيارة صبري بيك ، وهي الأن داخلة ضمن أراضي هذه الكلية من الجهة الغربية والى الشرق من سكة الحديد ، وبئرها الأن تزود الكلية بالماء ، وهذه المدرسة تحولت الى مدرسة ثانوية أيام الانتداب ، وهي الان تحمل اسم المدرسة الفاضلية .

وتنازلت لجنة المعارف عن بيارة صبري بيك الى مدرسة خضوري عند تأسيسها دون مقابل ، إذ أن حكومة الانتداب اشترطت على لجنة المعارف التبرع بهذه البيارة لمدرسة خضوري مقابل الموافقة على بناء هذه المدرسة في طولكرم ، فتساهلت لجنة المعارف وتنازلت عن هذه البيارة ، التي كانت نواة لتأسيس مدرسة خضوري الزراعية، والتي تحولت فيما بعد الى كلية باسم كلية الحسين الزراعية . ولجنة المعارف الاهلية هذه وضعت مخططاً لمشروع انشاء مساكن حديثة ، تتوفر

فيها أسباب الراحة تؤجر للموظفين وفعلاً بدأت بتنفيذ المشروع فأنشأت بيتين للسكن قرب دار الحكومة ولكن نشوب الحرب العالمية الاولى أوقف المشروع عند هذا الحد . ويقطن احد هذين البيتين الان السيد «نجاتي الصلح» والثاني ألحق بمدرسة بنات طولكرم . هذه الاعمال العظيمة حققتها لجنة المعارف الاهلية لمدينة طولكرم قبل عام ١٩١٤م ، فكانت اساساً متيناً لنهضة علمية وعمرانية لايزال هذا القضاء يجني ثمارها لحد الأن . وما ساعد لجنة المعارف على القيام بهذه الانجازات خلال بضع سنوات الطريقة التي استثمرت بها الفائض من أموالها بانشاء البيوت والمرافق العامة التي كانت وما تزال تؤمن لها دخلاً ثابتاً ، ما زال يصرف في توسيع المدارس . واعتقد أن هذا كان هو السبب الذي جعل طولكرم تتفوق عمرانيا على المدن القديمة مثل جنين والناصرة وصفد وطبريا وغيرها .

والأن نأتي الى ما حققته البلدية من انجازات خلال المدة ذاتها قبل الحرب العالمية الاولى . كان لابد للبلدية من مورد يساعدها على القيام بما يترتب عليها من خدمات عامة تتطور تدريجياً بتطور المدينة وكانت ضريبة المنازل والرسوم الاعتيادية لا تكفي لسد نفقات بلدة أخذة في التطور والنمو بسرعة فائقة . ولذلك ساعدها القائمقام بايجاد حركة تجارية منظمة في البلدة وذلك بجعل يوم السبت من كل أسبوع يوم سوق تعرض فيه البضائع على اختلاف أنواعها ، وكذلك الحيوانات ، والمواشي ، والانتاج الزراعي ، والمصنوعات المحلية ، وصناعات نابلس ، ومنسوجات المجدل ، والشام ، وحمص ، وحلب ، وبيروت ، وجمال نجد ، والسبع ، ومصر ، وأبقار لبنان ، وسوريا ، وخراف البلقاء ، وتمور العراق ، وكانت البلدية تستوفي رسوما بنسب معينة عن كل صنف حسب القانون . وقد خَصّصَتْ البلدية ساحات خاصة للعرض ةوهكذا توفرت للبلدية امكانيات العمل والانشاء والصرف على المرافق العامة من هذه الواردات ففتحت بعض الشوارع وغرست على جوانبها الاشجار فامتد العمار على جوانب هذه الشوارع واتسعت البلدة غرباً وشمالاً وجنوباً ، وبعدها نظمت إحدى الأبار الرومانية وعمقتها وركبت عليها مضخة مع محرك وأنشأت خزاناً للمياه على أعلى نقطة من البلدة الى الشرق من الجامع القديم وضخت إليه الماء من البئر .

ومددت في البلد شبكة من مواسير توزيع المياه ربطتها في بيوت المشتركين مقابل رسم اشتراك شهري محدد وبذات الوقت كان على الخزان موظف خاص يبيع المياه الى من يريد تزويد بيته بالمياه بواسطة النقل بسعر زهيد ، وهكذا يمكننا أن نقول أن طولكرم سبقت الكثير من المدن القديمة والكبيرة في هذه الناحية من الخدمات التي تسهل الاستيطان في البلد وتوسع حركة البناء والانشاء .

فمدينة نابلس مثلاً لم تعرف شبكة توزيع المياه إلا بعد عام ١٩٢٠م على ما أظن ، وكانت المياه تنقل من العيون في نابلس في قِرَب من الجلد على ظهور اشخاص يمتهنون حرفة تزويد البيوت بالمياه ويقال لهم السّقاية وواحدهم يقال له سَقّى في الوقت الذي كانت به بيوت طولكرم لاسيما الحديثة منها موصولة بشبكة توزيع مياه حديثة قبل ١٩١٤م .

وإني لأذكر جيداً أنني أتيت إلى طولكرم وأنا في سن الثامنة أو السابعة مع ووالدي قبل الحرب العالمية الاولى ، لشراء طربوش فشاهدت الحنفيات في المقهى والبيت ، وشاهدت الماء يسيل منها ، فتعجبت من ذلك وسألت والدي عن مصدر المياه إذ تصورت أنها تأتي من الحائط ، فأرسلني مع أحد الناس إلى البئر وشاهدت مضخة وهي تضخ ، وشاهدت المواسير في الشوارع ، ومن ثم أخذني ذلك الشخص الى الخزان ، وشاهدت ازدحام النساء والبنات عليه يملأن الجرار بالماء وينقلنها إلى بيوتهن . وأنا كطفل أتيت من قرية كنت مندهشاً من كل هذا لدرجة أنني صرت اعتقد طولكرم هي أكبر وأعظم بلدة في الدنيا ولا يوجد لها مثيل مطلقا في كل الدنيا . والدنيا حسبما كنت افهمها في ذلك الحين ويفهمها أكثر السكان في القرى أنها تمتد بعيداً حيث تنتهي بشاطيء البحر الذي كنت اسمع بأنه هو حدّ الدنيا ، وكنت أشاهد في الأفق البعيد خط مياهه الزرقاء . وهذا ما حققته بلدية طولكرم قبل عام ١٩١٤م وفي مدة لا تتجاوز العشر سنوات .

اما انجازات الحكومة فانها لم تتعد مستلزمات الحكومة نفسها ، إذ أنها بعدما رسخ قدمها في هذه القرية الصغيرة واستولت على زمام الامور شيدت مبنى كان يضم الدوائر الحكومية والشرطة والسجن وهو مؤلف من طابقين وفيه الآن مدرسة

نور الدين زنكي في الطابق الاول وفي الطابق الثاني البلدية ٠ والى جانب دار الحكومة هذه أو (السرايا) أقامت مبنى للبرق والبريد وألحق الآن بمدرسة بنات طولكرم . وأنشأت مركزاً عسكرياً للتجنيد والتدريب ومستودعاً للملابس والاعتدة العسكرية وهو الآن مستشفى طولكرم ودائرة الصحة ، وفتحت مصرفاً زراعياً كان يسلف الزراعيين لانعاش الزراعة في القضاء وانقاذ المزارعين من المرابين الذي كان لكل واحد منهم منطقة استغلال يكاد يمتص جميع ما تنتجه تلك المنطقة ، وكان الواحد منهم في منطقة نفوذه يشكل حكومة ، إذ أنهم كانوا جميعهم من نابلس أقدم مركز للحكم والسلطة في ذلك الوقت ووصل نفوذهم شرقا الى منطقة البلقاء في الضفة الشرقية . إذ كانت السلطة أنذاك تابعة لمتصرفية نابلس ، وهكذا يمكننا أن نقول أن الحكومة تمكنت من تنظيم مختلف الدوائر الحكومية في وقت قصير وصار القروي يعرف أن هنالك مراجع حكومية ذات سلطة وذات قوة يمكنها من أن تزيل عنه الحيف إذا كان مظلوماً , وهكذا اضطر الكثير من ذوي النفوذ في القرى الى النزوح الى طولكرم والاستيطان بها ليكونوا على مقربة من الحكومة لقضاء مصالحهم ، وتعليم اولادهم ومزاولة الاعمال الزراعية والتجارية . أما بخصوص الصحة فـإنني أذكر أن أول طبيب أتى الى طولكرم واستوطن فيها هو الدكتور خالد مصطفى(١٤) أتى من الشام ولايزال لحد الآن موجودا في طولكرم ، وكان يقال عنه في ذلك الوقت طبيب البلدية إذ يظهر أن الصحة في زمن الاتراك كانت من ضمن الشؤون البلدية .

لابد لي من أن أعود بكم ثانية الى يوم السوق لاهمية ما أحدثه هذا اليوم من أثر في النهضة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في المدينة والقرى . فهذا اليوم هو يوم السبت من كل اسبوع فكلمة السبت تلاشت وحل محلها كلمة السوق فصار في قضاء طولكرم لايوجد يوم السبت بل يوم السوق حتى أن كلمة اسبوع أو جمعة تلاشت أو كادت أن تتلاشى وخصوصاً بين عامة الشعب . فصار هنالك من يقول قبل سوق أو قبل سوقين (بدل اسبوع أو اسبوعين أو جمعة أو جمعتين) حدث كيت وكيت قبل ثلاثة اسواق ، عملت كذا وكذا ويوم السوق زارني فلان وفلان . ربما تظنون أن هذا الكلام مبالغ فيه ولكني أوكد لكم أنه كان حقيقة واقعة يعرفها كل ابناء هذا القضاء الذين عاصروا ازدهار السوق في طولكرم وهذا يدل دلالة واضحة

على ما تركه يوم السوق من أثر في حياة وتفكير أهالي قضاء طولكرم إذ انتزعوه من بين أيام الاسبوع وأبرزوه بشكل خاص لدرجة أن غالبية عامة الشعب صارت تسمي طولكرم (السوق) فكنت أسمع الواحد يقول : ذهبت الى السوق يوم الثلاثاء ، واجتمعت مع فلان في السوق يوم الجمعة، وذهبت الى السوق لاحضر جلسة يوم الاثنين ، وهكذا نجد أن كلمة السوق قد حلّت محلّ طولكرم ايضا . وهذا يدل على ان السوق اصبح معشوق كل انسان في قضاء طولكرم ، وصار هو اليوم الوحيد الذي يلازم حياة الانسان ، وبدونه تكون الحياة ناقصة.

إذ في يوم السوق يجتمع الاصدقاء بدون موعد ، وكأنهم على موعد ، ويعرض كل انسان ما يريد بيعه مهما كان تافها ، ومن السوق يشتري كل انسان ما يحتاج ، ولو ابريقا من صنع ارتاح ، أو قدراً من صنع كفر اللبد ، أو حصيرة من صنع الطيبة ، أو سكيناً من صنع ترشيحا ، أو منخلاً من صنع الناصرة ، أو محراثاً من صنع يعبد ، أو ابريق زيت زيتون من زيت بلعا ، أو دير الغصون ، أو جرّة من صنع غزة أو اللد ، وكانت هذه الاشياء من ضمن موجودات كل بيت في القرى ، وكان القروي يعرض ما أحضره من السوق الى أصدقائه ، والمرأة الى جاراتها وصديقاتها بفخر واعتزاز ، لانهم ذهبوا الى السوق يوم السوق ، واشتروا هذه الاشياء بأنفسهم ، ولذلك إنني لا أكون مغالياً إذا قلت أن حوالي خمسة وسبعين في المائة من الرجال وعشرة بالمائة من النساء وعشرين بالمائة من الاولاد كانوا يزورون السوق ، ولو للفرجة . والفرجة هنا تعني التفرج على الشوارع المزدحمة بالكتل البشرية والبضائع المعروضة ، ان هذه الفرجة ابتدعها القائمقام عند تأسيس السوق ، إذ كان ينزل هو وجميع موظفي الحكومة والشرطة والمحاكم والبلدية وغيرها الى ساحات العرض ، ويجلسون بين الناس على كراسي اعدت لهم ، وما أن شاع هذا في القرى حتى صار الناس يهرعون الى السوق للفرجة على القائمقام ورجال الدوائر من الموظفين ، ويشاهدون بأنفسهم ماذا يلبسون ، وكيف يظهرون ، وهل هم مثل باقي الناس أم يختلفون . هذه الحركة الدعائية البسيطة من قبل الحكومة جعلت السوق جزءاً لا يتجزأ من حياة كل مواطن في قضاء طولكرم ، والدليل على ذلك أن المطر الشديد والبرد القارس والريح العاصفة ما كانت لتعيق القرويين عن الحضور الى السوق ولو مشيا على الاقدام ، للفرجة وشراء ما يحتاجون ، وعرض ما يريدون بيعه،

وللاجتماع مع بعضهم البعض . صار هذا اليوم عند غالبية الناس يوم زيارة السوق الواجبة ، وإذا تخلف عنها شعر أنه قصر بواجبه ، ولازمته الندامة طيلة ايام الاسبوع ووقع تحت ملامة زوجته واولاده ، لأنهم حرموا من هديته اليهم من السوق ، وجارهم ذهب واحضر هدية لزوجته واولاده .

هذا الاحتكاك الذي أوجده السوق بين مختلف السكان ، أوجد تفاعلاً في النهضة العلمية ، إذ رأوا هذا الموظف الجالس على الكرسي هو مثلهم ولكنه وصل الى الكرسي بالتعليم ، فصار التعليم يحتل قسما من تفكيرهم ، وصارت الحياة أفضل ، تدغدغ أحلامهم على العمل الزراعي ، والعمل التجاري والتعليم ، وصار مزارع قضاء طولكرم انشط مزراع . صارت طولكرم تصدر البطيخ الى مصر ولبنان، بطريق البحر في المراكب عن الموانىء التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، وتمتد كلها امام قضاء طولكرم وهي قيسارية وأبو زابورة والزوايا والبلاقية وسيدنا علي ، فكانت قوافل الجمال تنقل البطيخ من الحقول الى هذه الموانىء ليلا ونهاراً ، وصارت ايضا تصدر الترمس الى مصر والسمسم والذره الى أوروبا عن طريق حيفا ويافا .

عندما ابتدأت الحرب العالمية الاولى كانت طولكرم مندفعة في نهضتها بسرعة فائقة ، فقد استوطن فيها الكثير من تجار نابلس والكثير من العائلات القروية المرموقة وتهيأت فيها سبل العلم وساد النظام واتصلت مع غيرها من المدن بطرق معبّدة ولكن هذا كله قد توقف اثناء الحرب العالمية الاولى وفتك الجوع بالسكان وازدادت المجاعة بهجرة أهالي الجنوب الى الشمال فتفشت الدّعارة وساءت الاخلاق ودبّ الفساد في جهاز الدولة وفتكت الأمراض السارية بالسكان وكان أن انخرط الشباب في الجندية فقلت الأيدي العاملة وأهملت الارض وقلّ الانتاج وارتفعت الضرائب لدرجة مرهقة فجاع وعري أكثر من ثمانين بالمئة من السكان وأنني لا أزال أذكر تلك المناظر المؤلمة انطبعت في مخيلتي ولن تفارقني وهو منظر البنات الصغيرات من يافا وهن يتضورن جوعا ويأتين الى كل بيت يطلبن ولو لقمة خبز ولكن هيهات أن يجدن البيت الذي يتمكن من مساعدتهن .

وما كادت تنتهي الحرب بالاحتلال الانكليزي لهذا البلد حتى بدأت الحياة تدب من جديد في البلده ، فنشطت التجارة والزراعة ولكن الى حين ، وبهذا أكون قد أنهيت قصة ظهور مدينة طولكرم الى الوجود خلال مدة وجيزة ، واعتقد أن الحرب العالمية الاولى ، والتي انتهت باحتلال هذه البلاد من قبل الانكليز هي التي اوقفت تقدم هذه المدينة وهذا القضاء لمدة طويلة من الزمن ، إذا كان هنالك تطور في النهضة، فقد كان بطيئاً جداً ، وبخطة مرسومة من شأنها تسهيل الاستطيان الاسرائيلي ، والتمهيد لاقامة دولة اسرائيل .

وعلى كل حال انني أذكر هذه القصة ، أي قصة طولكرم ، وأحفظها في قلبي وكل مشاعري ، واعتبرها درساً لكل من تلقى على عاتقه مهمة أو مسؤولية وانها بحسب اعتقادي كان من الممكن جداً ألا يكتب لها النجاح لو لم يتعاون المسؤولون على التخطيط الصحيح بأمانة واخلاص وتجرد ، مع قيامهم بالتنفيذ بالسرعة والدقة المتناهية ، ولو رافقهم في ذلك الوقت من يدون أعمالهم وأقوالهم في مكاتبهم وفي دواوينهم وفي أوقات فراغهم وفي اجتماعاتهم الاعتيادية ، واتيح لنا الأن أن نطلع على ما دون عنهم في فترة لا تتجاوز العشر سنوات لوجدنا أن المهمة التي القيت على عاتقنا كانت تشغل مشاعرهم وتفكيرهم وأقوالهم وافعالهم في جميع اوقاتهم ولولا ذلك لما تمكنوا من اخراج مدينة في ذلك العصر المتأخر بشوارعها ومتاجرها ومدارسها ومرافقها مع تنظيم الادارة والمحاكم والامن ، وجميع ما هو ضروري للمواطنين من راحة وطمأنينة ، في مدة قد لا تزيد عن عشر سنوات بدون ثمن ، كما وأن النتيجة الحتمية لاعمالهم كانت نهضة علمية واقتصادية وانتفاضة اجتماعية عمّت قرى قضاء طولكرم ، وانني قد اقتصرت في حديثي هذا على قصة مدينة طولكرم في العهد التركي فقط ، إذ أن قصة طولكرم في عهد الانتداب تكاد تكون مماثلة لقصة أيّة مدينة أخرى في فلسطين ، وأنها لتنطوي على مهازل سياسية وأعمال ارتجالية وظلم وطغيان ومأس يحتاج شرحها الى وقت طويل.

انتهت المحاضرة

ومسك الختام نقدم القصيدة التي كان قد نظمها الشاعر الفلسطيني المعروف الاستاذ خالد النصرة ، وكان قد لازم المرحوم عبد الله الفياض طوال سنوات اعتكافه في المنزل ، بعد الاحتلال الاسرائيلي ، كما كانت على الدوام تربطه بالمرحوم وبأسرته جميعاً علاقات حميمة من خلال علاقته بأل الحافي في جنين ، وكذلك خلال سنوات عمله الطويلة في وزارة الداخلية وفي مكتب قائمقام طولكرم أثناء فترة الوحدة الفلسطينية الاردنية .

••••••••••إلى روح أبي•••••عبد الله الفياض

[يُبكى الذينَ تَرنَّحوا في سيرهم !!]
قصيدة رثاء

أنا لا أؤبنُهُ•••ولا أرثيه ... ما زال حيّاً•••باقياً•••ببنيه••
ما زال حَيّاً في مَلامِح خالد ... وأخيهِ ، ثُمّ أخيهِ ، ثُمّ أخيهِ !
إني لأذكرهُ لفرطِ وفائه ... لصديقه••فصديقه••كَذوية•••••
أرثيه !؟ لا واللّه•••بل أنا ذاكرٌ ... لشمائل مُثلى•••تجلّتْ فيه••••
جَلَسات عَذْب الروح كم أحببتها ... يروي ، وروائع خُلقِهِ••يمليه•••
مازال حيّاً••في عَبائر ذكره ... أبداً تهبّ ، ونفحُها يحييه !
عمرٌ مليء بالنضال•••وزاخرٌ ... بالتضحيات ، صموده•••مُنهيه••
ياما لمحت الذكريات مطلة ... من ناظريه مثيرة ماضية
ما كان أروع ، بل أعفّ عِداهه ... لفظ ذميم لم يَسِلْ من فيه !
إن الرجولة أن تعيش وتنتهي ... لا تزدري خصماً ، ولا تؤذيه•••
الصمت شيمته•••فكان مقاله ... متمثلاً في روح ما يعنيه•••
ما زاد حرفا واحداً عن قصده ... ساس اللسان ، فبات لا يعصيه !
إن كان لم يخسره بعضٌ فالورى ... أهواؤها اختلفت بمن توليه•••
رجلٌ أصاخ ضميره لمبادىء ... نعم الضمير•••ونعم ما يمليه!
من كان ينبع صنعه من فكره••• ... فهو الذي وجدانه واليه !
هل كان يوما كالذين حبالهم••• ... كثرت•••لكثرة رقصهم••••والتيه !؟
هل كان يلبس غير وجهِ واحدِ ... هل كان يخفي غير ما يبديه•••؟

إن الثبات..هو الحياة بعينها — عشق الثبات..فنحن لا نبكيه...
..يبكي الذين ترنّحوا في سيرهم — ولذاك مهما قلت لا أرثيه !
لكنّ حبي..والمحبّة ها هنا.... — ليستْ من التمجيد..والتألية...
حبّي له كرفيق فكر طالما.... — جالسته ، ونعمت في نادية.....
فقي مجلس تهمو البساطة والنُهى — من أفقه...تهفو المودة فيه...
يحكي...فأصغي ، ثمّ أحكي بينما... — يصغي ، وما أشهى الذي يحكيه !
فكأنني من بعضه ، وكأنه... — والله يأخذني كبعض بنيه...

× × × ×

أأبا سلام(١٥) : كن الوريث لوالد — ورث السجايا الغرّ...عن أهلية....
كنْ يا أخي...كل امتداد ممكن — لمناقب..مغروسةٍ ببنيةِ.....
وأنا كعهدي ، لست أسلو ذكره — يوماً ولست على المدى ناسيه

مراجع البحث

١- قبل الشتات . التاريخ المصور للشعب الفلسطيني ١٨٧٦ - ١٩٤٨م ، تأليف وليد الخالدي . اصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ١٩٨٧م .

٢- القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين . ١٩١٧-١٩٤٨م ، تأليف : بيان نويهض الحوت اصدار دار الهدى ، الطبعة الثانية .

٣- من أرشيف البرلمان الاردني .

٤- أوراق ووثائق خاصة بعائلة المرحومين .

مصادر الرواية الشفوية

١- المرحوم احمد ابو زيتون .
٢- المرحوم على الصالح .
٣- عبد الرحمن محمد صالح بدران .
٤- عبد القادر الحاج ذيب كتانه .

الهوامش

٠١ آية (٢١) من سورة (يوسف) .

٠٢ الخليلية والسورة : هما حارتان في دير الغصون .

٠٣ انظر الجداول المرفقة كما وردت في كتاب الباحثة الفلسطينية (بيان نويهض الحوت) - القيادات والمؤسسات في فلسطين من سنة ١٩١٧م- ١٩٤٨م وهي : رقم (٩) ، (٢٠) ، (٢٦) ، (٥٢) .

٠٤ المقصود هنا هو اعتقال بعض أعضاء اللجنة القومية العليا من قبل سلطات الانتداب البريطانية في فلسطين ونفيهم الى جزيرة (سيشل) في المحيط الهندي .

٠٥ توفي المرحوم (احمد ابو زيتون) بتاريخ ١٩٨٧/١٠/١م ودفن في مسقط رأسه دير الغصون حيث أبّنه في حينه الدكتور فياض الفياض بكلمة مؤثرة أشار فيها لهذه الحادثة التي كان قد افضى بها قبل وفاته بعام واحد تقريباً ، وهي موجودة لدى المؤلف ضمن ملف خاص عن ثورة ١٩٣٦م .

٠٦ توفي المرحوم (علي الصالح) ابو عكرمة في شهر تشرين أول من عام ١٩٨٩م وكانت تربطه علاقة صداقة حميمة مع الدكتور فياض الفياض ومن قبله والده المرحوم عبد الرحمن الفياض .

٠٧ المنطار : هو قمة الجبل الواقع عند مفترق الشارع الصاعد الى قرية بلعا متفرعاً من شارع طولكرم/نابلس ومشرفاً عليه حيث كان معقلاً لثوار ١٩٣٦م .

٠٨ انظر الجدول المرفق عن كتاب (بيان نويهض الحوت) رقم (٥٩) في أخر الكتاب .

٠٩ انظر صفحة (١١) من هذا الكتاب .

٠١٠ انظر الجدول المرفق رقم (٥٩) في أخر الكتاب .

٠١١ يقع وادي الشام جنوبي دير الغصون مخترقاً الاراضي الجبلية التابعة للقرية .

٠١٢ انظر صفحة (١١) من هذا الكتاب .

٠١٣ توفي المرحوم احمد بدوي مصطفى ايوب أثناء أعداد هذا الكتاب في شهر أيار ١٩٩٤م ، في مدينة جرش بالاردن .

٠١٤ بنى الدكتور خالد مصطفى منزلاً يقع على الشرق من المستشفى الحكومي مجاوراً للمدرسة العدوية وهو الآن مؤجر لأحد مراكز الشباب التابع لدار اليتيم العربي . توفي الدكتور خالد أواخر السبعينات ودفن في طولكرم .

٠١٥ أبو سلام : الابن الاكبر للمرحوم عبد الله الذي أصبح نائباً عن طولكرم بعد وفاة والده .

الجدول رقم (٩)

أعضاء المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع ـ ١٩٢١ [١]

القدس

موسى كاظم الحسيني
شكري الكارمي
عبد الفتاح درويش
علي محمود
عارف الدجاني
ابراهيم الشماس

موسى صحويل
عيسى دكرت
جودت النشاشيبي
عبد الحميد أبو غوش
دياب حسن
ابراهيم سلامه

- أحمد الامام
- نجيب نصار
- معين الماضي

- فؤاد سعد
- قسطنطين مدوّر

صفد

- أسعد الحاج يوسف
- كامل البديري
- نايف صبح

- جميل الحسيني
- ياسين أبو السعود

يافا

- علي النقيب
- حنا الجلاد
- سعيد أبو خضرا
- عمر البيطار

- يوسف الدجاني
- شبلي الجمل
- يعقوب برنقش

نابلس

- الحاج توفيق حماد
- فريد عنبتاوي
- ابراهيم عبد (الدر)
- عادل زعيتر
- أحمد المحمد
- رفيق التميمي
- عبد اللطيف صلاح

- اسماعيل آغا النمر
- حافظ طوقان
- أحمد الشكعة
- فارس المسعود
- حمزة دروزة
- الحاج طاهر كمال
- صدقي ملحس

- هاشم جيوسي
- عبد الرحمن الحاج أحمد

- طاهر حنون
- رشيد الرباحي

حيفا

- محمد مراد
- رشيد الحاج ابراهيم
- تيوفيل بوتاجي

- عبد الله مخلص
- جميل البحري [٢]
- رفعت الصلاح

- شافع عبد الهادي
- مصطفى البشناق

- مصطفى أبو حجله

طبريا

- الشيخ طاهر الطبري
- اسحق درويش

- جمال الحسيني
- حسن صدقي الدجاني

اللد والرملة

- الشيخ سليمان التاجي الفاروقي
- سعيد الجندي
- محمد التاجي

- شكري التاجي
- عيسى المنيّر

جنين

- حيدر عبد الهادي
- نافع عبوشي
- محمد الرشيد
- روحي عبد الهادي

- حسن السعد
- عبد السلام البرقاوي
- عبد القادر يوسف
- توفيق الجرار

غزة

- سعيد الشوا
- حسني الخيال
- محمد الصوراني

- يعقوب الطويل
- شكري الحسيني
- محمود أبو خضره [١]

طولكرم

- سليم عبد الرحمن
- عبد الله سماره

- فياض الخضر
- خليل الصالح

---

(١) أكرم زعيتر ، أوراق خاصة ، محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية . المجموعة الأولى ، الوثيقة رقم (٦٢)، القدس : ٢٩ أيار (مايو) ١٩٢١ ـ ١ حزيران (يونيو) ١٩٢١ . (الوثيقة اصلية ، دفتر وقائع الجلسات ، والأسماء كلها كما وردت وفقاً لضابط رسمي ، وقد جمعت عبر الجلسات نظراً لعدم انتظام الحضور) .

(٢) حضر جميل البحري عوضاً عن تيوفيل بوتاجي الذي اضطر الى العودة الى حيفا .

الجدول رقم (٢٤)

أعضاء المؤتمر الاسلامي

للدفاع عن المسجد الأقصى والأماكن الاسلامية المقدسة ـ ١٩٢٨ [٣]

القدس:		جمال الحسيني	عبد الغني كامله
موسى كاظم الحسيني	محمد الصالح	عجاج نويهض	حسام الدين أبو السعود
الحاج أمين الحسيني	اسماعيل الحسيني	فخري النشاشيبي	نمر الشهابي
سعيد أحمد الحسيني	جودة النشاشيبي	اسحق درويش	جودة درويش
		عبد الهادي أبو حجله	حلمي العنباوي
صفد:			
حسني أبو السعود	فياض الخضر	عكا:	
أسعد الحاج يوسف	عبد الرحمن النحوي	الشيخ عبد الله الجرار	حسن بدر
محمد سليم شها	أحمد حمدي المغربي	عبد القادر شبل	
صبحي الخضرا			

---

(١) عجاج نويهض ، جريدة الأنوار ، ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦١ .

(٢) جريدة الجامعة العربية ، العدد ٦٥ ، ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٧ .

(وردت الأسماء في البيان الذي أصدرته اللجنة بمناسبة انهاء اعمالها واحالة المهمات والأموال الى اللجنة الجديدة التي تألفت في النبك) .

(٣) المصدر نفسه ، العدد ١٧٩ ، ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٨ ، هذه الأسماء تبلغ (٢٨٩) اسماً نشرت من أصل نحو (٧٠٠) اسم .

الجدول رقم (٢٦)
أعضاء اللجنة المركزية لاعانة المنكوبين
في فلسطين - ١٩٢٩ [٢]

الرئيس : محمد أمين الحسيني
نائب الرئيس: يعقوب فراج
نائب الرئيس: أحمد حلمي عبد الباقي
- الأعضاء:
عوني عبد الهادي الشيخ محمود الدجاني الدكتور فوتي فريج
حنا ميلاده عبد القادر العفيفي أحمد نمر الشهابي
فخري النشاشيبي زكي نسيبه
- أمين الصندوق: عبد الحميد شومان
المحاسب: فياض الخضر
السكرتير: راسم الخالدي

---

(١) جريدة الجامعة العربية، العدد ٧٥٩، ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩، عقد الاجتماع في ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩
(٢) المصدر نفسه

الجدول رقم (٥٢)
الأعضاء الفلسطينيون في المؤتمر العربي
القومي في بلودان - ١٩٣٧ [٢]

١ - الأسماء الواردة في المصدرين الأول والثاني:

- عبد القادر شبل	محام
- جمال الحسيني	عضو في اللجنة العربية العليا
- محمود العبيبي	مأمور أوقاف القدس
- عزة دروزة	مدير الأوقاف العام وعضو اللجنة العربية العليا
- أكرم زعيتر	حقوقي
- مغنم مغنم	محام وسكرتير حزب الدفاع الوطني
- سليمان الحسيني	محام
- شبلي الجمل	ملاك وتاجر
- حسن حماد	ملاك
- الشيخ صبري عابدين	من علماء المسلمين
- أحمد الشقيري	محام
- يوسف نجم	رئيس بلدية المجدل
- الشيخ عبد الله طهبوب	مفتي الخليل
- معين الماضي	محام
- صلاح الدين العباسي	محام
- عبد الرحمن الحاج	ملاك ورئيس بلدية حيفا سابقاً
- رشدي التميمي	طبيب
- وديع البستاني	محام
- ميخائيل توما	ملاك وعضو المجلس البلدي
- رشيد الحاج ابراهيم	مدير البنك العربي بحيفا
- الياس رزق صهيون	ملاك
- سليم سلامه	طبيب
- أحمد الشكعة	صاحب معمل صابون ووجيه
- أمين التميمي	عضو المجلس الاسلامي الأعلى
- عبد الفتاح طوقان	تاجر
- عزة طنوس	طبيب وعضو في وفد الدعاية الفلسطيني
- الشيخ سعيد الخطيب	امام وخطيب المسجد الأقصى
- محمد يونس الحسيني	مدير البنك الزراعي في القدس
- فؤاد سابا	سكرتير اللجنة العربية العليا
- فخري النشاشيبي	مدير الغرفة التجارية بيافا
- عبد الحميد شومان	المدير العام للبنك العربي بفلسطين
- جميل الحسيني	محام
- عبد الرحمن النحوي	محام
- الشيخ محمد علي الجعبري	من علماء المسلمين
- الشيخ سعيد كساب	محام
- توفيق مجدلاني	ملاك وسكرتير الغرفة التجارية
- محمود علاء الدين	سكرتير اللجنة القومية في الرملة
- محي الدين المصري	تاجر
- فارس سرحان	ملاك ومزارع
- موسى عرفه	تاجر وعضو في اللجان القومية
- عزة نسيبه	تاجر
- عبد الرحيم الطويحي	ملاك
- فوزي هدمي	ملاك وعضو في اللجان القومية
- فياض الخضر	ملاك
- عبد اللطيف الأمين	تاجر
- حافظ المهتدي	ملاك
- فايز الكردي	محام

---

(١) أكرم زعيتر، أوراق خاصة، محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المجموعة الثالثة، الوثيقة رقم (٣٢)، التواقيع على بيان للمندوب السامي، تموز (يوليو) ١٩٣٦؛ جريدة فلسطين، العدد (١٠٩ - ٣٣٠٠)، ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٣٦.

(٢) المصدر الأول: فؤاد خليل مفرج، المؤتمر العربي القومي في بلودان (دمشق: المكتب العربي القومي للدعاية والنشر، ١٩٣٧)، ص ٢٤، ٢٩ - ٣٤.
- المصدر الثاني: نبيه العظمة، أوراق خاصة، محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ملف رقم (١٢)، الوثيقة رقم (٢٦٧أ)، «المؤتمر القومي العربي المنعقد في بلودان - سوريا»، كراس على الآلة الكاتبة.

الجدول رقم (٥٩)

الأعضاء البارزون في كتلة القوميين العرب
ومؤتمرهم في حيفا ـ ١٩٤٧

من الأعضاء المؤسسين[٣]

- فريد السعد
- عز الدين الشوا
- خلوصي الخيري
- فريد يعيش
- محمد البحيى ●
- سمير شما ●
- خالد الافرنجي
- رشاد الشوا ●
- فلاح ماضي ●
- عبد الحليم الجبالي
- الدكتور خالد مطيع ●
- سعيد ملحس
- الدكتور يوسف هيكل ●
- جمال حيد ●
- محمود حود ●
- احمد السبع ●
- واصف كمال
- رشاد الشوا
- ناطم السخن
- ممدوح السخن
- اميل سليم ●
- نظام شراب ●
- صلاح شما ●
- تحسين كمال ●
- الدكتور صلاح العنبتاوي ●
- يوسف ابو ضبه ●
- دياب الفاهوم ●
- خالد حمو ●
- نيازي كنعان ●
- محمد بيبي ●
- الدكتور عمر الخليل ●
- أنور الخطيب ●..

الحاضرون اجتماع كتلة القوميين العرب[١]
(حيفا: ١٨ حزيران / يونيو ١٩٤٧)

- فريد السعد ●
- حنا نقاره ●
- مالك المصري ●
- يحيى حموده ●
- اكرم عبد الرحيم ●
- شفيق قمرحي ●
- فرسان ماضي ●
- سامي طه
- منير سختيان ●
- المطران غريغوريوس حجار
- برهان الدجاني ●
- عصام عاشور ●
- خلوصي الخيري ●
- الشيخ تقي الدين النبهاني
- عبد الله الحضر
- احمد شعبان
- الدكتور سامي بشاره ●
- الفرد زخريا ●

من الأعضاء البارزين الذين لم يرد ذكرهم أعلاه[٤]

- سامي العلمي
- كنعان أبو خضرا
- محمد العمد
- الدكتور حيدر عبد الشافي
- اسحق العوري
- فايق عبد الجواد
- رستم الماضي
- حسن الزين
- اسماعيل الخالدي
- منير سختيان

(١) منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث، وثائق مخطوطة، الملف رقم ت/III، الوثيقة رقم (٢٥)؛ الجبهة العربية القانون الأساسي والنظام الداخلي (يافا: مطبعة الشرق، ١٩٤٥)، ص ١٦

(٢) اميل الغوري، المؤامرة الكبرى، ص ١٢٧

(٣) واصف كمال، مقابلة بيروت ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧

(٤) يوسف هيكل، مقابلة بيروت ١٥ آب (اغسطس) ١٩٧٢ (الأسماء الواردة اعلاه ناقصة لأنها لا تستند الى جدول رسمي، وقد جمعها الدكتور يوسف هيكل من ذاكرته وذاكرة رفاق له حضروا الاجتماع، ولما كانت الأسماء تشمل اصدقاء للكتلة بالاضافة الى الأعضاء، فقد عرضنا الجدول على عضوين آخرين، هما واصف كمال من الاعضاء المؤسسين وبرهان الدجاني من الأعضاء الذين حضروا الاجتماع للتأكد من اسماء الاعضاء المنتسبين من هؤلاء، وقد أشرنا بعلامة ● الى كل اسم تأكد لدينا انتسابه).

الجدول رقم (٢٠)

أعضاء المؤتمر العربي الفلسطيني السابع
واللجنة التنفيذية ـ ١٩٢٨[٢]

القدس:

- موسى كاظم الحسيني
- الشيخ سعيد الخطيب
- جمال الحسيني
- حسن البديري
- عبد الحميد أبو غوش
- فايز الحداد
- اسماعيل الخطيب
- سعيد عبد الله حسن
- بندلي الجوزي
- الدكتور فوتي فريج
- عارف الدجاني
- فهمي النشاشيبي
- طاهر الخالدي
- اسماعيل جار الله
- سعيد درويش

رام الله:

- الدكتور سعد الله قسيس

بيت لحم:

- حنا ميلاده
- عيسى البندك

حيفا:

- محمد مراد
- الحاج خليل طه
- عمر الصالح
- علي محمود عريقات
- رشيد العلي
- يعقوب فراج
- الياس توما الجلاد
- حسام الدين أبو السعود
- زكي نسيبه
- اسحق درويش
- عيسى عوض
- عبد الفتاح درويش
- عوض العرموش
- اسماعيل النجار
- عمر العامر
- يعقوب نزهه
- ابراهيم شماس
- بولس شحاده
- خليل مرقص
- خليل قزاقيا
- رشيد الحاج ابراهيم
- محمود الماضي
- اسكندر برغش
- نجيب الحكيم
- سليمان الصلاح
- محمد علي التميمي
- احمد الامام
- محمد المقبل
- وديع صنبر

جنين:

- عوني عبد الهادي
- حسن السعد
- معامي الحاج يوسف
- محمد ديب رشيد
- نافع العبوشي

طولكرم:

- عبد الله سماره
- طاهر حنون
- حمدان الحاج احمد
- عبد الفتاح المحمود
- سليم عبد الرحمن
- هاشم الجيوسي

طبريا:

- امين عبد الله
- فائز الطبري
- يوسف العاقل
- يوسف مراحل
- عبد الرحمن الحاج
- هاني أبو مصلح
- انيس الحوري
- سليمان ناصيف
- حنا عصفور
- معين الماضي
- فهمي العبوشي
- فؤاد القاسم عبد الهادي
- أديب الخالدي
- محمد مسعود الجرار
- عبد القادر اليوسف
- فريد الحمد الله
- قاسم العبد الخضر
- عبد اللطيف أبو هنطش
- نمر عبد القادر
- يونس العمر
- عبد الجبار العمر
- صدقي الطبري
- عبد الواحد حماد
- خليل خرطبيل

(١) جريدة الجامعة العربية، العدد ٢٣٦، ٦ حزيران (يونيو) ١٩٢٩.

(٢) المصدر نفسه، العدد ١٤٢، ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٢٨، عدد الأسماء الواردة هنا (٢٢٦) من أصل (٢٥٠) اسماً على وجه التقريب.

رسـالتي الى الناخبين

ايها الناخب الكريم

لقد قرب اليوم الذي ستقف به امام صندوق الاقتراع .
لقد قرب اليوم الذي تخلو به لنفسك لتقول كلمتك في من يمثلك في مجلس الامة .
فكر كثيراً وحكم ضميرك ووجدانك واسمع انات المرضى وعويل الثكلى من اللاجئين قبل ان تودع ورقة انتخابك الى الصندوق .
يجب ان لا تتأثر ايها الناخب لما يدور حولك من دعايات تنطوي على حزبيـات اودت بكياننا ولا الى وجاهات وشعوذات وتدجيلات كانت السبب في ضياع بلادنا ودمارنا .
فكر جيداً ايها الناخب الكريم ان مسؤولية النائب ليست بالمسؤولية الهينة التي يسهل تحملها . فكر ان لا تحمل هذه المسؤولية الا لشخص جربته واختبرت له من الشجاعة والاخلاص والامانة ما يخوله ثقتك بأهليته لتحمل هذه المسؤولية .

ايها الناخب الكريم

انني اتقدم اليك عارضاً خدماتي بتحملي اعباء هذه المسؤولية فان وجدتني اهلا لها فانتخبني واذا لم تجدني اهلا لها فلا تخن ضميرك ووجدانك فانتخب من هو أقوى مني على تحملها وانني ساكون مسروراً جداً اذا وفقك الله لاختيار نخبة ممتازة لعضوية مجلس الأمة .

ايها الناخب الكريم

الكلمة لك الآن وهذه الكلمة امانة في عنقك فتقدم الى صندوق الاقتراع الصغير وضعها في داخله فانها لا تلبث ان تخرج منه وتقرر مصيرك ومصير اولادك ومصير وطنك للاجيال المقبلة - والمصير بيد الله - .
اني أتقدم لتحمل هذه المسؤولية في هذا الوقت الدقيق الحرج من اجل مصلحة هذه الامة المنكوبة التي لم تكن هي المسؤولة عن نكبتها .
أتقدم لتحمل هذه المسؤولية شاعراً ان سعادتك سعادتي وهو شرهاني وشقاؤك شقائي وان لا عزة لي الا بك ولا كرامة لي اذا فقدت انت الكرامة فأنا منك واليك .
أتقدم لتحمل هذه المسؤولية غير مكترث بما الاقي من مشقات واتعاب في سبيل امتي وبلادي .

ايها الناخب الكريم

لست دجالا ولا منافقاً ولذلك تراني لا أعدك بالقصور والزهور ولا بالحرير والفراش الوثير ، ولا بجنات سهل شارون وشوارع تل ابيب التي كان يعدكم بها سماسرة الوطن بقولهم بيعوا فستستردونها من اليهود قصوراً وجنـاناً تجوس خلالها المياه فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين .
لا أريد أن اعدك شيئا الآن اذ انني وحدي لا أكوّن أمة ولا شعبا ، ولكنني اعدك انه عندما تصفو القلوب وتنقى الضمائر وتوحد الكلمة وعندما يشعر الفرد انه يعيش من اجل المجموع وعندما نعبىء كل قوانا ومواهبنا وامكانياتنا وما نستطيع من قوة وعندما ينتعش المزارع والعامل ونصبح قادرين على استغلال موارد البلاد وثرواتها الدفينة ان : -

١ - نعبىء جيشاً يسترد ما فقدنا ويحافظ على شرفنا وكرامتنا .
٢ - نبني المدارس ونؤسس الجامعات والمختبرات ونقوي الصناعة والزراعة فنحضر الآلات الزراعية ونؤسس المعامل الصناعية ، ومحطات التجارب الزراعية .
٣ - ننشىء الطرق ومشاريع الري ومحطات درابه الكهرباء والمستشفيات .
٤ - نرسل البعثات العلمية والصناعية الفنية والعسكرية الى الخارج كي تعود الينا بعلوم الغرب وفنونه وعبقريته .

ايها الناخب الكريم

اذا تعاونت الامة على تطبيق هذه المبادىء فلا شك انها منتصرة ومحتلة مكانها السامي بين الامم ولذلك علينا جميعاً ان نتكتل ونتحد ونسعى لما فيه خير البلاد بمجموعها وان نضع مصلحة البلاد فوق مصلحة الفرد اذ لا خير في امة تحيى من أجل فرد ولا خير في فرد يحيى من اجل نفسه .
فهيا ايها الناخب الكريم واسرع الى صندوق الاقتراع في منطقتك الانتخابية وضمنه كلمتك السرية التي يمليها عليك ضميرك ووجدانك وكن واثقاً أن الله سبحانه وتعالى سيوفقك الى اختيار النخبة الصالحة من المرشحين اذا اتكلت عليه متوخياً بعملك

Abdullah Alfayad AlKhader

Born in the village of Deir Algsson in 1904.

He was educated at Deir Algsoon school, then An-Najah school and the English school in Jerusalem and later at the American University in Beirut.

He was a member of the founding committee of the Arab Nationalists Movement during the conference which was held in Jaffa in 1947.

He was a member of the Jordanian parliament from 1958 till he passed away in 1970.

In 1958 he became a minister of construction in Jordan.

He insisted on resisting the Israeli occupation authorities after 1967.

